

# تصدير

يزخر بريد مجلة « قصص » بالمراسلات المختلفة من الداخل ومن الخارج ، ينبع أغلبها من معين الانتاج المبدع ، ويتناول البعض الآخر الدراسة النقدية ، أو التعليق الذاتي . وكم كنا نود لو يتسع مجال النشر الضيق لهذه المجلة حتى تتم الاستجابة الى رغبات الكثير من المراسلين . ولكن ضيق المجال من ناحية واسلوب الجدل من ناحية أخرى يزيدان من انحسار تلك المراسلات ، ونشر البعض منها على الأقل .

على اننا نود - في هذا التصدير - أن نشير الى نوع من تلك التعليقات يكتبه شدة في الابداع من الاكيد أن غرورا ركب البعض منهم بما نشرته هذه الصفحة أو تلك مما تخصصه الصحف اليومية والاسبوعية من صفحات للتشجيع على الانتاج وابرار المواهب . وهذا عمل جيد في حد ذاته ، لكنه - في المطلق - لا يخلو من مأخذ لعل من أشدها خطرا وأكثرها سلبية ما يتولد عن ذلك من مركب غرور ، وفجاجة إعجاب . وإذا البغاث يستنسر ، والضبوع يستأسد - كما يقول رهط من القدامى - وإذا أحكام تسلط دون قاعدة إثبات ، وإذا « نعوت » يرمى بها هنا وهناك فلا تجد قرارا تقع عليه ، ولا جدارا تستند اليه ، وإذا أنت تقف موقف المحتار ، وتنظر نظرة المشفق على براعم يهددها الذبول ، وشموع يتوعدها الانطفاء . وتحاول أن تعدل بداية اعوجاج ، أو أن تخفف حدة انحراف فيجابهك الصد والتعنت . وبقدر ما يبدو عليك من اعتدال يقابلك الآخر بالصلف أو ما يقرب منه فتزداد إسفاقا ، وتعلوك الدهشة دون أن ترد الفعل أو تقابل بالمثل لأنك تخشى أن تصيب مواجهاك النكسة أو النكبة .

وإنهم لكثير أولئك الذين ينتهون الى فشل . وكان فى الامكان ان يكونوا شيئاً مذكوراً لو كان لهم من سعة الصدر أمام نزيه النقد ، وخالص التوجيه . ومهما كانت المعاذير فان ذلك لا يحول دون المسؤولية ، والسعي الى النفع من أجل الآخرين ، وحتى التضحية فى سبيلهم .

إنه موقف صعب ولا شك . ولكن الأشد صعوبة أن تكون مضطراً الى الموقف المخالف ، وتقديم الحق المر على الزائف المموه بمغشوش العسل ، أو زخرف الدجل .

ولا تحسبن - أيها القارئ العزيز - أننا نعنى فلانا أو فلتانا ، فذلك يخرج عن هدف هذه المجلة منذ صدورها ، بل ما نعنيه هو هذه الظاهرة التى تزداد تفشياً كل يوم لا تشمل الابداع القصصي فقط ، بل تمس كل مجالات الابداع الادبي مهما كان لونه وصيغته .

« قصص »

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

## ندوة فى الصحراء

طق .. طق .. طق .. ثلاث طقطقات متتاليات أصمت آذان الركاب فى الطائرة . التفت الجميع بعضهم الى بعض والذعر يملأ قلوبهم ويظهر فى عيونهم . ثم لم يلبث أن انطلق صوت ناعم هادى :

- اربطوا أحزمتكم .. التزموا الهدوء ..

وانقطع الصوت بدون نقطة انتهاء ... وازدادت الحيرة أكثر . ثم لم يلبث أن انطلق صوت رجالي :

- الرجاء منكم تفهم الوضعية..إننا فى ظرف أحوج ما نكون فيه الى الشجاعة ورباطة الجأش .. سوف يتم نزول اضطرارى .. ونجاح العملية يتوقف على رحمة من الله .  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

جفت حلوق كثيرة .. رحمة من الله .. بعض العقول لم تهضم ذلك .. فما علاقة رحمة الله بالتكنولوجيا..كل الامور انما هى علاقات حددتها الرياضيات بين المادة والطاقة .. العلم لا يعترف بانصاف الحلول ولا بالصدق ، اذا ما توفرت المعطيات أدركت النتائج .

وقام واحد من المعترضين على رحمة الله وهم بالاندفاع نحو غرفة القيادة ، لكن تصدى له ثلاثة أقوىاء أشداء وأجلسوه عنوة فى مكانه وحاولوا منحه ابتسامة لكنها كانت كتكشيرة نمر ..

تغلبت رحمة الله ، ونزلت الطائرة ، وغاصت عجلاتها الصغيرة فى الرمال فمالت على أحد جانبيها .. لكنها لم تنفجر .. عانق المسافرون بعضهم بعضا وانحدرت بعض الدمعات من عيون البعض من السيدات والاوانس .

انطلق الجميع فى الصحراء يبحثون عن أية اشارة تدلهم على موقعهم من الدنيا .. ولكن كل الاجهزة التى تدل على الموقع من الدنيا تعطبت .. حتى أجهزة التخاطب أتلقت .. ووجد الجميع انفسهم فى صحراء ممتدة الاطراف يبدو أنها ليست لها نهاية .. بعض الكشافين انطلقوا يغوصون فى الرمال هنا وهناك .. وبعض الشعراء أخذوا من جيوبهم كناشات وأقلاما وجعلوا حينما يخطون على الاوراق وأحيانا يضعون أطراف الاقلام بين أسنانهم .. والبعض من الرسامين أخرجوا أدواتهم ووجدوها فرصة لا تشتري بالمال .

وما هى الا لحظات حتى بدأ لهيب الهاجرة يتصاعد ، وبدأت الافواه تجف وكذلك الخلق .. صاح الجميع طالبين الماء .. لكن أين لهم أن يجدوا الماء ، وقد تكسرت كل الحزانات ، وأريق كل الذخيرة من المياه فى رمال الصحراء .. بدأت أصوات الاحتجاج تتصاعد من هنا وهناك . لكن أحدهم قال :

— لنكن عمليين ، الماء ليس موجودا فى الطائرة . وطاقم الطائرة لا يمتازون عنا بشيء . فما علينا الا أن نعول على أنفسنا فى البحث عن الماء قبل أن تحل الكارثة .

توزع الجميع هنا وهناك .. وكما أدركتهم رحمة الله فى النزول بسلامة أدركتهم أيضا فى العثور على عين ماؤها قليل . انطلق الجميع يتدافعون . لكن شخصا ثريا غير مدنى أطلق النار فى الفضاء وصاح :

— يمنع منعا باتا الاقتراب .

دبت الفوضى .. وهم الجميع بالانقضاء عليه ، فأطلق طلقة أخرى فى الفضاء جعلت الجميع يتدافعون نحو الوراء وقد تساقط أغلبهم على ظهورهم .. سأل قائد الطائرة :

— ما هذا التصرف ؟

— انها المصلحة .. الا تعلم أن الجاهل يفعل بنفسه ما لا يفعله العدو بعدوه .

— لست أفهم .. ماذا تقصد ؟



- هذه عين في الحلاء .. والسوام والهوام كثيرة في الصحراء .. ثم ألا تعلم أن الكوليرا والمalaria وغيرهما يتسبب فيهما الماء الآسن .

عند ذاك اندفع رجل يحمل نظارتين وفي وجهه حية كثة .. وتقدم ، لكن صاحب المسدس أوقفه بطلقة في الفضاء ، فصاح :

- أنا طبيب .. أنا أؤيدك .

عندئذ سمح له بالاقتراب منه ، وصافحه بحرارة وقال له :

- عليك أن تبين للجميع كيف أنني أبحث مصلحتهم .

سوى الطبيب ربطة عنقه ، واستقام في وقفته ، وأرسل سعال متلاحقة وسوى من ثوبه ثم انبرى مخاطباً :

- كان الإنسان في القديم يجهل أن في الدنيا كائنات حية تشاركه الحياة دون أن تراها عيناه ، لذلك كانت الامراض منتشرة والآفات متكاثرة ، وكان الإنسان ينسب ذلك إلى القدر وهو لا يعلم أن الامراض الوبائية أساسها الجرثومة ، وأن الجرثومة التي لا تراها العين المجردة قد تفتك بالكثير في ساعات قلائل .

علا صوت من بين الحاضرين :

- وكيف تتم عملية الفتك هذه ؟

صفحه أحدهم وركله آخر .. ولطمه ثالث وصاح الجميع .

- دع الدكتور يتكلم ولا تقاطعه .

لكن حضرة الدكتور اعترض على هذا التصرف الذي تدينه كل الشرائع ، ولا تسمح به الآداب الانسانية ، ويتنافى مع الذوق ، وتندد به منظمات حقوق الإنسان . وقال :

- دعوه يعبر عن رأيه .. ثم إنه أراد أن يعرف ، وإرادة المعرفة مفتاح العلم .

صفق الجميع ، وتعالى الهتاف . وهم الجميع بالاندفاع لرفع الطبيب على الاعناق ، لكن طلبة في الفضاء أوقفهم جميعا . وواصل الطبيب محاضراته :  
... وبقي الامر على تلك الحال .. حتى جاء لويس باستير .

صاح أحد الحاضرين :

- بل لويس باستور .
- يا أخي لا فرق بين باستير أو باستور .
- كيف ليس ثمة فرق .. فهذا اشباع كسر والآخر اشباع ضم والفرق بينهما جلي .
- لكنه في لغته باستير .



- وقد نطقها كما ينطقها الفرنسيون .
- طيب اذا كنت قد أفلحت في نطقها هكذا فهل تستطيع كتابتها ؟
- طبعا لا ، لان اللغة العربية ليس لها شكل كتابي لهذا النوع من النطق .

انبرى من الحضور رجل نظاراته أكثر سمكا من نظارتي الطبيب ، وثيابه أقل أناقة وأرخص ثمنا . دفع الجميع هنا وهناك . وتقدم بكل خفة .. انطلقت رصاصة في الفضاء ، لكنها لم ترهبه ، بل واصل طريقه قائلا :

- أكون ممنونا لو مت شهيد العلم .. ما معنى باستير أو باستور .. أنا .

قاطع صاحب المسدس :

- وما دخلك أنت ؟

- كيف تسألني ؟ أنا دكتور في اللغة .

صفق الجميع ، وتعالى الهتاف ، وكثرت الهمهمات ، فضغط صاحب المسدس على يد الدكتور الثاني قائلا :

– طبيب .. لنا الشرف .. الآن أصبح عندي دكتوران .. أحدهما في الطب والآخر في اللغة .. هكذا يتم التقدم والازدهار .. بهذه الكيفية نستطيع أن نحقق اكتفاءنا الذاتي ونستطيع رفع الجهل وتنمية الديمقراطية وبناء القاعدة التحتية بمتانة حتى يكون البناء الفوقى سليما .. لهذا أقدم اليكم أيها السادة الحضور الدكتور في اللغة لشرح وجهة نظره .

– باستير أو باستور لنا الحق في النطق به كيفما شئنا ولنا الحق في كتابته كيفما أردنا .

لكن أصواتنا انطلقت من هنا وهناك :

« – كيف يكون لنا الحق .. هذا عبث باللغة وعدم الالتزام بالاصطلاح وبالتالي تكون ثمة تفرقة ولا يتحقق الغرض الذي من أجله نشأت اللغة كوسيلة اتصال !! »

وانبرى دكتور في علم النفس الاجتماعي وآخر في علم السوسولوجيا وآخر في علم الاتصال .. ودارت مناقشة وصلت حد التشنج حتى هم الجميع أن يدخلوا في صراع بالاظافر والارجل والايدي .. لكن طلقة أوقفت الجميع في أماكنهم .. وصاح صاحب المسدس :

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

– هذه نظريات .. كل الافكار التي أبديتها قابلة للتنفيذ والتطبيق .. وسوف ننظر في الامر .. سنعين كل من تثبت صحة نظريته بالدليل والبرهان في كلية من الكليات .. لا بد من التنوير ولا بد من رفع الجهل ولا بد من التقدم والازدهار .. نحن نسعى دوما في خدمة التنمية لارساء أسس سليمة من العدالة والديمقراطية .. بالمناسبة .. بدأت الخراطيش تنفد من عنده، خراطيش؟! لا بد من أن يستتب الامن والا عمت الفوضى وساءت الحياة وانتشر الفساد..

تقدم كل من عنده خرطوشة يقدمها عن طيب خاطر .. وبعد أن أحس صاحب المسدس أن جيوبه امتلأت جحظت عيناه وانتفخت أوداجه وصاح وقد تطاير رذاذ فمه على الوجوه :

– ليعلم كل من أخفى خرطوشة واحدة أنه سيؤول الى سوء المصير .. لا بد أن يكون الامن في يد قلة من الناس حتى لا تعم الفوضى ..

تقدم البعض مطاطي الرؤوس فقدموا ما لديهم من خراطيش وهم لا يرفعون رؤوسهم عن الارض .

والآن نسمح للدكتور بمواصلة حديثه .

– قلنا فان لويس باستير هو اول من برهن أن الجراثيم هي سبب العدوى و .. وسكت .. لان حجارة ورمالا أنهالت عليه .. تعالت الاصوات من هنا وهناك :

– عميل .. خائن .. صهيوني .. شيوعي .. ملحد .

غطى الطبيب وجهه بيديه ، وهو لا يدري سببا لهذه النقمة .. وطلقة واحدة أرجعت الهدوء .. لكنه هدوء نسبي .. صاح صاحب المسدس :  
– لا تشوشوا .. عينوا أحدا ينوبكم لابرار رأيكم .

تقدم أحدهم :

– هذا الشخص نواياه مغرضة .. وهو لا يقول الحقيقة .. ليس لويس باستير هو أول من اكتشف أسباب العدوى .. انما هم العرب .. إن أول من اكتشف أسباب العدوى هو ابن سينا .. وكذلك فان أطباء عديدين حللوا ذلك قبل باستير مثل ابن الجزار والرازي وغيرهم .. وفي جل كتاباتهم شروح مستفيضة في العدوى ..

لكن الطبيب رفع رأسه قائلا :

– أنا لا أنكر ذلك .. إن أحدا منهم لم يحدد جرثومة .. أو شكلها أو أعضائها .. ولويس باستير تسنى له ذلك لان لديه مجهر ..

– هراء !! هراء !

صوت تعالى من بين المجموعة .. وتقدم واحد معلنا أنه دكتور في التاريخ :

– لا العرب ولا لويس باستير أول من اكتشف أسرار الجراثيم .. انما هم الفراعنة .. أما رأيتم عملية التحنيط .. إنها أرقى وسيلة للقضاء على الجراثيم . ليس ليوم أو شهر أو سنة .. بل لآلاف السنين .. لو لم يكن لهم دراية بأن الجراثيم هي التي تسبب التعفن ما استطاعوا أن يصنعوا مضادات تبطل من مفعولها .



كانت الشمس ضحي حين انغرست عجلات الطائرة في الرمال ، وقد بدأت الشمس تصفر حين انبرى واحد ليؤكد بأنه دكتور في المنهجية . نظر الجميع بعضهم الى بعض ، فقد استغربوا لهذا اللقب ، اذ لم تتعوده آذانهم .. أخيرا وقع قبوله ضمن الهيئة المبجلة . بعد استشارة بين صاحب المسدس وحضرات الدكاترة منح الكلمة فقال :

– الانطلاق كان أساسا لمناقشة ما اذا كان الماء في العين صالحا للشرب أم لا ، فأوليتهم العين ظهوركم وتحديثهم في كل شيء الا في الموضوع الاصلي . ولذا فاني أقترح العودة لاصل الموضوع .

تعالى الصياح ، وارتفع الضجيج ، وأعلن الجميع أنهم لم يعودوا قادرين على الوقوف ، وان ألسنتهم وأفواههم وحلوقهم قد جفت . وهم صاحب المسدس أن يطلق رصاصة في الفضاء ولكن يده أصابها الوهن ، فقال بصوت ضعيف :

– لا بد أن نطبق الديمقراطية ، فلنجر تصويتا .

– حاول الطبيب أن يعترض ، وحين هم بالكلام لم يطاوعه لسانه . وارتفعت كل الايدي موافقة على شرب الماء .. جرى الجميع نحو العين .. لكن ! ماذا ؟ .. الماء جف .. لقد كان قليلا جدا في الضحي ..

حين وصلت النجدة في صباح الغد .. كان جميع الركاب جثثا ملقاة حول العين الجافة .. صاح أحد المنقذين :

– انظروا .. انظروا هناك ..

اشربت الاعناق .. فاذا بيت منتصب على كثيب .. جروا نحوه .. وجدوا بيتا قد صنع من أشياء أخذت من الطائرة .. ووجدوا رجلا مستلقيا وبجانبه صفيحة قد أخذت من الطائرة وهي مملوءة ماء .. وصندوق فيه خبز قد أخذ أيضا من الطائرة .. نادى المنقذون الرجل فلم يسمعوا جوابا .. رفعوا أصواتهم فلم يجب .. ظنوه ميتا .. حين لمسوه استيقظ ولكنه لم يتكلم .. لقد كان أخرس ..

**عبد الوهاب الفقيه رمضان**

تونس 1990/4/7

## طفل ما بعد الحصاد

تحسست بأطراف أصابعك منابت الشاربين .

قطبت وأنت تتحسس المكان اللدن ..

« اليوم ستعد حبوب البذر ... ستحضر الاكياس ... مهمة كهذه ، لا يتعهد بها سوى الكبار ...! سأرى اليوم إن كنت رجلا حقا كما لا أفتأ مؤكدا لنفسي ... فان قضيت الامر ، مر على جارنا ... ربما استحقك المسكين » .

« بماذا أفادته المدارس وقد ابتلعت ابنه وتركته لعسر الارض وعنائها ، وحيدا مع كبره ...!! »

ARCHIVE

ترقرقت كلمات والدك تروي كبرياءك ، وتشجذ همتك ... نخست الحمار ... ومضيت في الطريق ... انحدرت مع سيل الذاكرة الى الامس القريب ...

.....

قبل الحصاد ، وفي مطلع السنة الفلاحية ، لم تفقد بعد ملامح الطفولة ... ترشف اللهو ... ليس للساعة الآتية في حسابك مكان ... تروع خشاش الارض ... تنط وراء الذباب الملون ... تحشر ما تمسك به في حقة صغيرة للتسلي ... وحين تزهو التلال وأعراف اللوز ، تركض وراء الفراش مستشارا حتى اذا اصفرت السنابل تقتفى أثر طيور « المقنين » تنصب لها شباكك لتبيعها يوم السوق .

أما بقية أيام الفصول التي تشغلها الدروس ، فكنت تمضي في الطريق الممتدة أمام خطاك تؤرجح جراب دفاترك فرحا عند العودة ، متثاقلا حين الذهاب نحو المدرسة الرابضة عند أعلى التلة بمنأى عن دور القرية .

كانت الطريق تهمس اليك :

« إنني طويلة !!!... طويلة ... ألتوى بين كل تلك التلال وراء  
الجبيل !... »

وكنت تجيب :

« وأنا صابر !!!... صابر !... فى بيتنا خروف ... وغدا يوم سوق ! آه  
يا يوم السوق !! »

.....

ويفيض بخيالك الحلم بيوم السوق ، تعانقه . تتمرغ فى رفاته انتشاء .  
ويطول ذياك الحلم . يفوق الطريق طولاً ، وأنت تنط الى الامام ... ترتفع  
ذراعاك ترسلان نحو الشمس بجراب الكتب المهلهل . ويتهيا الحظن منك  
منفرجا انفراج فسحة الامل ليتلقفه ومعه شحنة من دفء الشمس ...

.....

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تجر الحمار ...

ويجر الحمار العربية ، يذب بذيله حشرة ملحاحه ، يبدو كما لو كان لك  
منصتا .

« لا بد من قطع المسافة على عجل لنقل أكياس الحبوب المعدة للبذر من  
مخزن الديوان ... » أولاد بوزيد « ليسوا بأفضل مني !! . إنها لمتعة أن أعبيء  
الأكياس قبلهم ، وألقيها تباعا بجرة من ذراعي أمام أبي فيرف فى عينيه  
الرضا . ألسن رجله الوحيد ؟! . بلى إنني لكذلك ... وإلا ما لمعت فى عينيه  
تلك الفرحة التى بدت على محياه حين غلبت « أولاد بوزيد » فى لعبة  
الورق ! » ...

حذقوها كامهر ما يكون كانت لعبتهم التى يخفون بها عن أنفسهم عناء  
السير فى الطريق الجبلية الوعرة صوب المدرسة ، حتى لفظت هذه الاخيرة

ثلاثتهم تباعا ، وقد يئس منهم المدرس ... كان يسلط عبثا عصاه على أيديهم التي اخشوشنت وسافت من شغل الارض وصقيع الصبيحات الشتوية .

.....

تضج أصوات من حولك . تنتشلك من تخميناتك تراهم يعدون . يحيطون بك ... سرب طيور برية تنداح بباطنك شفقة عابرة ، وأنت تتأمل وجوه أترابك وغير أترابك من أطفال القرية متأمينين نحو درب المدرسة .

يشاكسونك ! :

« أتحمل معك الحمار والعربة عوض الكتب والكراسات يا نوري ؟! »

..... -

تنبليج الضحكات وتموج عبر الحقول ، ثم تغيب في الافق الندى ...  
« الحمار ليس غبيا ليسير كل تلك المسافة الى المدرسة حيث لن يجد مخللة مكتنزة شعيرا وفولا !!... »

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhrit.com

تبحث بينهم بعينيك عن قامة صغيرة عرجاء . مالى لا أرى بينكم ابن عم حميدة الحلاق ؟!

- انقطع عن الدروس .

- ما له هو الآخر ؟

- منذ أن روعه الذئب فى الشهر الماضى ، وكادت رجله السليمة تنكسر ، ألزمه أبوه الدكان . الافضل له أن يحذق صنعة أبيه ... ما الذى سيجنيه من وراء هذه الطريق التى تقطعونها قبيل الشروق وعند الدغيشة ؟!...

.....

هيا ... اركبوا !...

يتعالى الهتاف ، وتنط القامات الصغيرة تباعا بالعربة :

« سأريحكم من بعض عناء السير . هذه الطريق لا ترحم . لست أدري لماذا اختاروا للمدرسة ذلك المكان القصي ؟! »



وتسألهم فى نبرة تقارب نبرة « الكبار » ( أولئك الذين يجلسون بعد صلاة العصر الى « الحانوت » .. تقترب منهم لحاجة ولغير حاجة تسأل عن أبىك ) :

– ماذا اشترىتم أمس من السوق؟!...

« فحما ... وحمصا ... حمصا كثيرا »

تفوح روائح طبخ اللبلابي بأنفك . تمرر لسانك على شفتك السفلى .

– اشترينا جفنة ، وأواني فخار .

– وأنت يا نوري ؟!

– . . . . .

تنخس الحمار . توغل كفك فى جيب سروالك . تتحسس اللقافة الطرية الناعمة بين عطفات جييك . تستحضر لونها الابيض الناصع والاحرف المنقوشة بالاحمر تحاذى حزاما بنيا تتمنطقه اللقافة من الاسفل .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تجيب فى تأن ، وأنت توليهم نصف وجهك رافعا أحد حاجبيك :

– أشياء مختلفة!...

تشعر فجأة بسوط الحبية يجلد أجنحة المتعة المتراقصة بباطنك فى حفيف تنتشي له فى صمت .

– آه ! لعنة على الشيطان . نسيت علبة الوقيد !!... ماذا سأصنع باللقافة اللدنة البيضاء وعلبة الوقيد لا تراقفها ؟... ما رأيت رجلا يدخن الا ومعه علبة وقيد ولو شبه خاوية »

يستطرد صوت من بين الخلية المنتشرة فوق العربة وقد احتبى صاحبه منتشيا بهددة العجلات :

– اشترينا أيضا نفطا ...

.....

تعود منحدرًا بخيالك مع سيل الذاكرة الى الامس المتوغل وراء أيام الحصاد الاخير . تراءى لك «سى توفيق» يجلس القرفصاء ، وقد مال برأسه الى خلف ، يعقد ما بين حاجبيه . يمد يسراه ممسكا بالآلة الجهنمية ، وبيميناه راح يضخ بطنها الذى ملأه نفطا ، فتتأرجح النار برأسها التى تطلق أزيزا يعربد بأرجاء قاعة الدرس السييرية وقد اكتسحت رائحة النفط والدخان الاركان . عندها ... يقف « سى توفيق » وينفض يديه وينادىكم :

« الآن تعالوا يا أبناء الـ ... التفوا حول « البابور » ودفعوا أكفكم بالتناوب دون أن يستأثر أحدكم بنصيب الاسد ... هيا اسرعوا حتى نستأنف الدرس ... »

لن تنسى أنك أول من كان يسارع الى احاطة اللهب بكفيه الثلجيتين . ثم تلوذ بأخر القاعة تلتصق بالشباك متلهيا باطلاق بصرك الى ما وراء السور القصير متأملا الجليد يغمر المرتفعات ، توشى نتفه البيضاء حافتي الطريق الملتوية . تلك الوحيدة التى تصل المدرسة بالدور .. تحلم بالشمس ثم تعود لتتخسر بين الملتفين حول « بابور » النفط خلية زنايين .. تتهايمسون فيما بينكم عن ذئب نزل الى درب القرية مساء أمس ، وعن خنزير شوهد فى الانحاء .

— سمعت أن له نايين كنابي « فيل » كذلك علق أحدكم .

وقال آخر :

« هذا ليس صحيحا . إنه رضيع قتل الغنامة أمه فى السوق الماضية »

.....

يجذبك لفظ الاصوات ثانية الى الحاضر تنخس الدابة وقد تباطأت :

« يا أبناء الـ ... » ...

ترفع بها صوتك وأنت تفرك يديك محاكيا « سى توفيق » ثم تواصل :

— أما زال « بابور » سى توفيق « حيا » يا أولاد ؟!

- قيل : إن المدير الجديد سيأتينا بمدفأة . وستكون كل يوم من نصيب قسم من الاقسام .

- هذا ليس حلا ! ماذا سنصنع بقية الايام التى لا تكون فيها المدفأة من نصيبنا ؟!

قلت تسخر منهم :

- أغمضوا أعينكم واحلموا بدفئتها !

تحك أرنبه أنفك ... تسأل « خلية الزنابير » :

- من منكم معه علبة وقيد ؟!...

لا يسعفك أحد باجابة ... ظلوا يتقاسمون فى ما بينهم شرائح تين مجفف وقرور خروب . عادت أناملك تتحسس اللغافة النائمة بعطفات جييك ... وعادت الحية تلسع باطنك ...

- أليس بينكم من يدخن يا أبناء الـ ...

تتوقف ...

ترمق ركابك المتصدرين وسط العربة وسبابتك اليمنى تحك منابت الشاربين اللدنة ...

تأتيك إجابة أولى من ابنة بوزيد :

- التدخين يفسد الخلق والصحة يا نوري !.. تشيرك ... تحرك تمرذك ...

- هذا كلام أبيك المغرم بالسعوط ...

يقول آخر :

- بالامس رأيتك « تلعب الورق » واليوم تدخن يا نوري .

- . . . . .

تعض على شفتك السفلى ... ترمق جميع الاعين المحدقة فيك دون أن  
ترمش ... يکظ الغیظ صدرك ...

تصرخ فيهم :

— اهبطوا ... هيا اهبطوا ...

يتناثرون من فوق العربة ... ينفض من حولك جمعهم ... ثم يبتعدون فى  
الطريق .

طريق الايام الغادية ... أيام ما قبل الحصاد ... طريق أعرضت عنها  
ولست بنادم ...

يصلك صوت ابنة بوزيد حانقا :

— أنت بغیض يا نوري !...

تقرر أن لا تجيبها ... هى بنت ... بل طفلة ...  
« لأنتقم من إخوتك فى لعبة الورق ... »  
<http://Archive.org/details/Saahir.com>

★ ★ ★

« سأشتري اليوم أعواد ثقاب » كذلك أزمعت ...

— نهارك سعيد يا نوري !...

ترفع عن حصى الطريق بصرك :

— نهارك أسعد !...

وتتفرس فى صاحب الوجه الذى حياك بشوشا ... تحدج قامته الملفلفة فى  
الجدید والنظیف من الكساء... تقف ببصرك عند دفاتره الانيقة تحت إبطه...

تراه يبتعد عنك نحو درب المعهد ... تعاودك ذكرى يوم شددت على رقبتة  
حتى جحظت عيناه ...



.....

ناداك صوت « سي توفيق » ذلك اليوم :

- أنت ! تعال الى السبورة !... متى أسست الدولة الصنهاجية ؟

- سيدي نحن لم نقرأ عن الدولة الصند... الصناجية .

وزغردت صفعة فوق خدك ...

- عد الى مكانك يا بهيمة ... الصنهاجية لا الصناجية ...

جررت خطاك الى مكانك ... من حولك ، امتدت الايدى الى أعلى ... انفردت  
السبابات ... غلت القاعة سأساة ...

« سيدي .. سه .. سه .. سيدي أنا .. سيدي أنا » .

- أسست الدولة الصنهاجية سنة ... سنة ...

.....

التفت الى صاحب الاجابة المختال ... رمقت نشوة الفرح والظفر في  
عينيه ... رحت تخطط مشروع الانقضاض عليه عقب الحصنة ...

« تبا لهذا اللعين فليساجلني ان استطاع في لعبة الورق . هل يفهم شيئاً  
في طيور « المقنيين » ؟!... أبداً إنه مهذار ليس غير ... يتغدى تواريوخ  
ويتعشى تواريوخ فيتجشأ بسهولة ... ولكن أبي يقول دائماً :

« ليس من حفظ الارقام وحمل لفافات أوراق برجل ناجح يا بني... عندما  
ننزل الى المدينة سأريك أين يجلس الكثير ممن اهترأت سراويلهم من مقاعد  
الدرس وهم يتشاءون ... نعم الرجل من سوى هذه الارض المنبسطة ... وذل  
وعورها وصخورها وفجر الحضرة على أديمها ...

نعم الرجل من فاح من ذراعه عرق الغلبة والصراع » ...

.....

اللثيم يرد أن يكون اللحن ... النابغة ... ليغنم بقاعة الدرس - إن شاء -  
يستعرض فيها ما عنده أمام الرفاق . ليحاول أن يفعل ذلك معي في الحقول...  
أو مع الباعة يوم السوق ... إنه أبعد من أن يكون لي فيها قرنا ...

.....

انتظرته عند منعطف الطريق ... استمهله ... شددت على قفاه بكفك  
الحشنة ... ثم أحطت رقبتة بالآخرى ... أدنيت منه رأسك ... سددت نحوه  
نظرات تقدر غيظا .

- هل قرأنا نحن عن الدولة الصند ... هاجية؟! ... متى كان ذلك  
يا لثيم ... هاه .. قل ...!!

- تجمع حولكما بقية الرفاق .

- اتركه يا نوري ... لقد قرأنا الدرس فعلا ... كان ذلك يوم جاءك أبوك  
فتركت الدرس مصاحبا إياه رغم احتجاج « سي توفيق » ...

أتذكر؟! ... يوم ضاعت خرفانكم وراء الوادي؟! ... ألم تذهب يومها للبحث  
عنها مع أبيك؟! ... <http://Archivebeta.Sakhril.com>

..... -

فككت قبضتك عن رقبة رفيقك ... ابتسمت ... لويت شفتيك ...  
زمتهمما ضيقا ... حككت أرنبة أنفك ... ثم مؤخرة رأسك ...

ضربت بقدمك حصاة تابعتها ببصرك وهي تحط بعيدا ... غمغت بكلام  
لا تذكره ... وابتعدت .

\*\*\*

حين جاءك قرار فصلك من المدرسة لم تحرك ساكنا . ولم تطرف عينا ...

قال أبوك القابع في ظل الضحى عند الدكان الكبير للقريّة :

- أنت لا تصلح للمدرسة . أنا استحقك ... الارض تستحقك ... أنت لهذه الارض ... وهذه الارض لك .. انها ستتقبل بعيشك .. فظل بها .. اعلق بها كنجمها ... فهي سترعى لك ذاك الوفاء ... »

.....

لم تكن لتستسيغ الدروس ... خصوصا تلك المحشوة أرقاما ولا تلك الساعات التي تدب على صبرك تستملها وراء منضدتك المتآكل لوحها والمنطخة حبرا ... لم تكن لتستسيغ صريف الاقلام على كراسات أترابك وأنت ساهم عبثا تطارد طيف اجابة تأمن بها العقاب والغمط ...

ولكنك أمام أبيك نبشت عن عذر ...

- لقد « صفرني » المعلم في درس التاريخ ... لم احضر درس الدولة الصنهاجية ... كان ذلك يوم أخرجتني من القاعة ...

.....

يبرز على صفحة ذاكرتك وجه أبيك بلامحه الصلبة ، يفند بنظرة هازئة عذرك ... يسبر أغوارك ليباغت ارتياحك المخزون للقرار ...

- لنفرض يا ابن أمك أنك عرفت كل شيء عن هذه التي ذكرت ...

وقاطعته توضح ، وصدى الصفعة التي دوت عند صدغك يعاودك :

- الدولة الصنهاجية يا أبي ... الصنهاجية !..

وزعق أبوك حينئذ ينهي الحديث :

- كف عني ... ضاعت الحرفان فهل ستعيدها لي دولة الصنهاجية هذه ؟!

.....

\*\*\*

تهز رأسك .. تزيح الذكريات التي شغلتك عن الطريق ... تنخس الدابة وقد شارفت حانوت القرية وصدى صوت أبيك يخز مسميعك ويتموج في فضاء الحقول المعدة أتلأمها للبذر .

« أبدا لن تعيد الدولة الصنهاجية خرافي ... لن تعيدها !! »

مسعودة أبوبكر

تأليف : يسي وايلين  
تعريب : أحمد ممو

## خمس فتيات وجبل واحد (1)

المؤلف :

ولد وايلين سنة 1935 بمنطقة ريفية من مقاطعة غوانغ دونغ بالصين وقد انخرط في الجيش الشعبي سنة 1950 ثم اشتغل بمقاطعة هونان عند مغادرته للجيش سنة 1960 . وكان قد بدأ الكتابة سنة 1957 واستمر فيها حتى سنة 1969 وهي السنة التي التحق فيها بالخدمة الفلاحية بالمنطقة الجبلية من اقليم هونان .

أهم آثار هذا الكاتب خلال هذه الفترة تتصل في كتابيه :

- مراكز المدفعية على الحدود (Postes d'affût de la frontière)
- على الساحل (Sur la cote)

عاد وايلين الى الكتابة سنة 1979 وأصدر تلك السنة كتابيه اللذين أحرز بهما جائزة أدبية وهما :

- فى جدول مولان اللازوردي (Dans le ruisseau d'azur Mulan)
- النهر الذى لم تعلم جوانبه (La rivière sans baline balise)

ينتمي وايلين الى الاتحاد الوطني للكتاب الصينيين وكان قد انتخب نائبا لرئيس اتحاد كتاب هونان .

★ ★ ★

لقد ولدن فى نفس القرية وترعرعن فيها معا وشربن من نفس ماء بئرهما ولكن لا شئ يجمع بينهما لا فى الحلقة ولا فى الحلق ومع ذلك فكل منهن تحب



الآخريات ولا شيء يمكن أن يفرقهن في هذه الحياة ولا حتى عند الموت. كبراهن تدعى « زهرة الخوخ » وهى فى الحادية والعشرين من عمرها اما صغراهن فتسمى « زهرة البرقوق » وهى لم تبلغ عامها الثامن عشر الا أخيرا . اما « زهرة الحبق » فستحتفل قريبا بعيد ميلادها العشرين فى حين أن « عبير اللوتس » و « عاشقة القمر » تمران بالتاسعة عشر من عمرهما. رغم أن لكن منهن اسما خاصا بها الا انهن فى نظر أولي أمرهن مجرد « بضاعة خاسرة » وما عليهن الا التعود على هذه الكنية التى تطلق على الفتيات جميعا جيلا بعد جيل . رغم أنهن أميات الا أنهن يتقن جيدا وضع العلامة المناسبة على قفا الاحذية التى ينسجنها . فبمجرد ضربة سحرية تصبح الابرة قادرة على انطاق خيط القنب بصوت جميل كما ان سرعتن اثناء الشغل تجعل الفعل البسيط يتحول الى تحفة فنية تزينها نقوش متعددة فى شكل خيوط متقاطعة أو عقد أو زهرات سمس أو عفريتتين يتصارعان من أجل لؤلؤة أو طائر فينق تحت الشمس ... وعندها يتساءل الانسان من ذا الذى يمكن أن يسمح لنفسه بانتعال مثل هذه التحف الجميلة النادرة . ويكون الانسان يفضل التفرج عليها ماسكا ايها بين يديه كما لو يتملس لوحة فنية رائعة .

من ذا الذى يصدق أن أقدام الفتيات الخمس لم تتجاوز خلال فترة وجودهن مسافة ثلاثين فرسخا بعيدا عن القرية ؟ ان الانسان ليشعر بالحزن لمجرد ذكر مثل هذه الاشياء ، قد كان أبعد مكان أمكنهن أن يزرنه هو قرية الاصداف الواقعة باقليم « غوانغكسي » حيث يقام معرض سنوي ... وطبعاً لم يكن لديهن الكثير من المال لابتياغ الكثير من الاشياء . ولكن مجرد أن يجدن أنفسهن وسط الزحام فذلك يروق لهن .. كم كان يمكن أن تصبح متعة أكبر لو أمكنهن هناك تناول صحيفة من دويذة الارز والمفلفل كما يجب بحيث يجعل العرق يطفح على الجبين ؟ .. ان صحيفة مثل هذه لتسيل لعاب امبراطورة . وقد تدفعها الى التخلي عن عرشها .

وعلى كل فان يكون الانسان فتاة فى منزل ما فذلك ما قد لا يخلو من جاذبية .. وغالبا ما كان ينتاب الفتيات الخمسة شعور بالفرح العارم النابع من شغاف القلب لمجرد أن تكتشف احداهن شيئا ما أو لمجرد ان يستولي عليهن شعور غامض . تكون ثياب الشتاء سميقة بشكل لا يمكنهن معه التفتن الى نمو نهودهن لذلك يجب انتظار قدوم الصيف لكي تكتشف كل منهن بصورة

طبيعية أن صدرها قد تقبب في شكل صحفتين .. يا للسماء انهما تشبهان  
الفقاع أو فطير الحبز الذى تخمر طويلا ... « يا للمصيبة !.. » . هكذا كن  
يتصايحن متلازمات .

– هيا بنا .. هيا نسارع بشراء أحزمة لشد هذه الاشياء المتضخمة !..

ولكن الشيء الذى أثار كلا منهن أكثر كان حدوث العادة الشهرية  
للمرة الاولى :

– هل حدث لك ذلك ؟..

– أواه !.. نعم ...

ثم يتبادلن بعد ذلك اللمسات فى تعاطف .. وتعلو ضحكاتهن نابغة من  
الاعماق ... ثم يتحركن فى خطوات صغيرة ضاغطات أردافهن كما لو كن  
ممثلات على الركح .. وتتواصل الخطوات خفيفة كتبات اللوتس فوق الماء  
ويبرق فى عيونهن الوديعه سر غامض ويبدو لهن العالم لذيذا وغريبا ومترامي  
الاطراف ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« عندما يبلغ الفتى السادسة عشر من عمره يستقل بالطابق العلوي  
من المنزل وفى السادسة عشر أيضا تصبح الفتاة موضوع مساومة » ...  
يبين هذا المثل الشعبي المصير القاتم الذى ينتظر هؤلاء الفتيات اللائي يبدو  
شبابهن مجرد حياة زهرة سريعا ما تتفتح لكي تذوي . كانت الفتيات الخمسة  
مخطوبات وينتظر أن يتم تزويجهن أثناء الشتاء المقبل أو الربيع الذى يليه .  
والزواج هنا يعني النزول الى الجحيم فللزواج حق ضرب زوجته متى عن له  
ذلك وله أيضا أن يحشرها تحته كأي ذئب جائع . اما الحماسة فلها حق  
خمسها بأظافرها الطويلة حتى وان تركت على وجهها علامات مهينة ...

– لنترك الحديث فى مثل هذه الاشياء ولننتحدث عن موضوع آخر ...!

– لكن أى موضوع ؟؟؟..

– ليكن موضوع الموت ان رغبتن فى ذلك !..

- بكم طريقة يمكن أن يموت الانسان ؟...
- لا تلقي بنفسك فى النهر لانك ستنتفخين بعد ذلك كائى خنزير أملط...  
كم يكون ذلك مزعجا !..
- اياك أن تبتلعي رؤوس أعواد الكبريت فقد يتسبب ذلك فى احتراق معدتك وعندها لا يمكنك الاكل فى العالم الآخر !..
- اياك أن تقطعي شرايينك اذ أن الدم سيلوث كل ما حولك وسيكون ذلك مزعجا للآخرين !..
- باختصار فان أفضل طريقة للموت هى الشنق فهى طريقة نظيفة ومحترمة .

- صحيح فهى طريقة لا تكمش الثياب .

- لو لم تكن كذلك فلماذا كان العديد من النسوة يفضلنها ؟...

- هيا ... لنسارع بشنق أنفسنا قبل أن يتم تزويجنا ... فجسد المرأة المدنس بالزواج لا يمكنه أن يدخل الجنة السماوية !.. كم هو لذيد وطاهر وأنيق موت العذراء وكم أن ذلك يشبه اختفاء قوس قزح أو غياب نجمة . ان روح العذراء كعصفور بريش طاهر يستعد لدخول الجنة السماوية ليتنعم هناك ...

كلما توغلن فى الحديث عن الموت تذوقن أكثر جمال الموت الغامض ولكم أن تتصوروا خمس أخوات شابات مشنوقات بجبل واحد دفعة واحدة ... كم يبدو الحدث مثيرا ... ثم يكن هناك يتلهين فى الجنة السماوية واضعات اليد فى اليد ... يا لها من سعادة !.. اما الآن فان الفتيات الخمسة كن بصدد حصاد العلف عند الهضبة ذات الانحدار الخفيف . كن مصطفات وسط الحشائش المرتعشة تحت هبات النسيم تخزن نهايات الاوراق المذبذبة وقد تمادين فى الحصاد منطلقات من أسفل المنحدر فى اتجاه القمة . وهناك انتصب جذع وحيد وسط زرقة الافق الصافية .. كان الجذع المائل لا يكاد يقوى على حمل أغصانه المتهدلة كأنه رجل ينتحب مبتهلا للسماء . وكانت الشمس ترسل شواظها على الارض حارقة الفضاء من حوالي الجذع . كان العرق



يتصعب من الفتيات الخمسة تحت قمصانهن الخفيفة المبتلة وقد انحنى ظهورهن وانفرج ما بين سيقانهن فأنكشف ما بين الفخذين مكتنزا وانطلقت الفخذان متسامقتين عاليتين مفتولتين الى حيث تنتهي السراويل القصيرة ..  
يا لها من مهارات شابة متحفزات !..

– تبا لهذه الحرارة !..

انتصبت « زهرة الخوخ » وألقت على الاشياء حواليتها نظرة حازمة ثم وضعت منجلها وشرعت فى نزع ثيابها فبرز صدرها عاريا لامعا تحت أشعة الشمس يبعث القشعريرة فى صوحيحاتها وسرعان ما تبعتها الاخريات فى حركاتها دون تردد وأنكشف ذلك السر الذى كانت تخفيه كل منهن وراء ابتسامتها الغامضة ثم انفجرت القهقهات معربة مجنونة ناشرة البهجة بين الجميع وانطلقت سمانتان مذعورتان طائرتين .

الآن بعد أن زال التعب امكنهن ان يعدن الى العمل بهمة أكثر . فتسارعت حركاتهن ولم يتوقفن عن حزم العلف عند انحدار الشمس فى اتجاه المغرب . كانت الكومة الكبيرة ترد عنهن اشعة الشمس الحارقة ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– هيا ... لناخذ شربة ماء هناك فى الظل !..

– عما يمكن أن نتحدث ؟..

– عن الموت طبعا !..

– ليكن ولنحدث فيه بالتفصيل !..

تساءلت « زهرة الخوخ » :

– كم ثوبا سنلبس عند الموت ايتها الاخوات ؟

صاحت بها « عبير اللوتس » ذات اللسان السليط :

– إن ذلك لا يحتاج الى توضيح فالعادة قد جرت أن يلبس المرء تسعة أثواب !..

اعترضت « عاشقة القمر » :



- هذا كثير ..! خمسة أثواب كافية ..!

لكن « عبير اللوتس » توجهت إليهن لائمة :

- أيتها الغبيات وهل تعتقدن أن خمسة أثواب كافية لكي تدخل احداكن  
الجنة السماوية ؟...

- صحيح ان كل النساء المنتحرات يلبس تسعة أثواب ولكن لم يبق لنا  
من الوقت ما يكفي لحياكتها .

وتدخلت « زهرة الحبق » حاسمة الموضوع :

- لنلبس سبعة اذا ..!

وأضافت « زهرة البرقوق » الساذجة :

- ليكون ذلك ولكن لا بد من ارتداء سترة الوبر ذات التجاعيد الحمراء ..!  
أعلمن أنه لم يسبق لي لبس مثلها ..؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وصاحت « عبير اللوتس » مصفقة :

- حسنا ..! لتكن سترة من الوبر المخطط ذات لون فاقع ... ستكون آخر  
صيحة ..

بذلك تزداد حركتك قيمة !

- حسنا ..! ولكن أين سنشئ أنفسنا ؟...

وكان هذا الموضوع أكثر إثارة لهن .

- هيه ..؟! أرى أن يتم ذلك عند شجرة الكافور الضخمة الكائنة في  
مدخل القرية ..! وليكن ذلك عند الفجر فما أن تستيقظ من سباتها حتى  
ترى هذا المشهد المثير ... خمس فتيات مجلات بالحمرة ... يا للمشهد ..!  
وكم ستنبعث الصرخات ؟! وكم ستسيل الدموع ؟! يا له من غليان ؟...

- ولكن شجرة الكافور عالية جدا ... ولعل الاستعانة بمقعد عال ...  
 - لا.. لا ... ان ذلك يخلق الكثير من الجلبة وعندها ستنبج الكلاب وذلك  
 ما سيوقظ القرية ..

- مهلا ! لقد وجدت المكان المناسب !.. انه مكان منعزل ... ما رأيكن فى  
 غابة الينابيع السحرية ؟ .. هناك سنكون فى مكان هادىء لا تجازف حتى  
 الشياطين بالتسلل اليه .

- لا ! لا ... انه مكان منعزل جدا ... لنفرض انه لم يتم التفتن الى جثثنا  
 الا بعد ثلاثة أيام أو خمسة .. عندها سيكون التعفن قد تسرب اليها وستكون  
 الريح قد تلاعبت بشعورنا والغربان قد نقرت أعيننا ... فبلا عينين لا يمكن لاي  
 منكن أن تبصر الجنة السماوية ... لا ! لا ... كل هذا غير مناسب !..  
 - ماذا سنفعل !..؟

وكما اعتادت « زهرة الخوخ » أن تكون دائما فطنة قالت :  
 - المعصرة هى المكان المناسب ، فهى ليست بعيدة جدا كما أنها غير قريبة  
 أكثر مما يجب من القرية . وزيادة على ذلك فان سقفها سيحمينا . يجب ان  
 لا تنسين خرير الوادي الذي يمر بقربها وكذلك المشهد الرائع حواليتها  
 بالاضافة الى الهواء النقي والاجمات المزهرة واليمام المغرد ...

ثم أضافت بعد توقف قصير :

- لقد فحصت جيدا العارضة الخشبية فهى متينة بما فيه الكفاية رغم  
 التآكل الذى بدا ينتابها ويمكنها ان تتحمل ثقل خمسة أجساد .

كانت المعصرة مكانا أليفا لديهن اعتدن الغميضة فيه منذ كن صغيرات  
 وذلك ما جعل اقتراح « زهرة الخوخ » يحظى باجماعهن ولكن « زهرة البرقوق »  
 وهى صغراهن لم تتوفر لها بعد فرصة الكلام . وكان ما يحزنها أكثر هو أنها  
 أقل خفة من الاخريات .

وفجأة لمعت فى ذهنها فكرة فهتفت بهن فرحة :

- أيتها الاخوات ألسنا فى حاجة الى حبل ؟.. اتركى لي فرصة توفيره..!  
موافقات ؟؟...

صحيح أنهن قد نسين هذه الجزئية .

- لا تنسى يا « زهرة البرقوق » أننا خمسة فى حبل واحد ..! اضفري الحبل جيدا وطوليه بما فيه الكفاية ..! يجب ان يبلغ طوله على الاقل ثلاثين مترا .

- ليكن ...! فنحن عندنا فى المنزل الكثير من ألياف القنب والنخيل !

صاحت بها « عبير اللوتس » :

- حذار ...! تجنبى ألياف النخيل..! فحبل ألياف النخيل خشن وقاس ويؤلم الرقبة كثيرا !.

علقت كل من « زهرة الحب » و « عاشقة القمر » على كلامها متمهلتين :

- اذا كنت تخشين الألم الى هذا الحد فلا شئ يجبرك على شئ نفسك ..!

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وارتفع صوت « زهرة الخوخ » جادا :

- حسنا ..! الآن لم يبق الا ضبط اليوم المناسب ..!.. ضبط الموعد

المناسب ؟! حقيقة أننا سنشئ أنفسنا ؟..

وحدقت أربعة أزواج من الاعين فى « زهرة الخوخ » ولكنها بقيت تنظر

اليهن فى ثبات واصرار ... وشجبت الابتسامة على شفاههن ثم خيم صمت ثقيل .

رمت « زهرة البرقوق » جمازتها على كتفيها المتهدلين اما « زهرة الحب »

و « عاشقة القمر » فقد حولتا نظريهما فى اتجاه الشجرة المينة فى حين أرخت

« عبير اللوتس » عينيها الكبيرتين القاتمتين تحت هديها الطويلين فى

اتجاه الارض . وفى البعيد تجاوب صوتا يمايتين احدهما حاد مرتفع والآخر

منخفض . لماذا هما تتناديان بكل هذا الحزن فى صوتيهما ؟..

واصلت « زهرة الخوخ » كلامها فى صوت متقطع بعد ان شدت نظرها الى نهاية قدميها :

- تعرفن أيتها الاخوات انى لم أقل ذلك لمجرد المزاح ... لقد تكلمت بكثير من الصراحة اذ لم يبق أمامي الكثير من الوقت ..! لقد وقع الاتفاق على أن يتم تزويجي يوم الرابع من أكتوبر ... خلال احتفالات التسعة المضاعفة... عندها يكون الطقس صافيا وهو اليوم الانسب للقيام بجولة فى الجنة السماوية .. سأسبقكن ولكن باسم الصداقة التى تربطنا أرجو منكن كتمان الامر وعدم افشاء الموعد الذى انتظره .

انسابت الدموع حارة من عينيها كما يتدفق الينبوع وانتفضت « زهرة البرقوق » واقفة ملقية بسترتها جانبا ثم احتضنت « زهرة الخوخ » منتحبة :  
- يا « زهرة الخوخ » يا أختي العزيزة ... سأذهب معك ...

بقيت الفتاتان تنتحبان طويلا وقد احتضنت كل منهما الاخرى ثم ودون أى كلمة سقطت كل منهما متخشبتيه فى ناحية كما لو أنهما كانتا تخشيان تكسير شئ ما فى سقوطهما .  
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

واصلت اليمامتان غناءهما . كان صوت احدهما حادا وصوت الاخرى منخفضا .. ولكن لماذا هما تتناديان بهذا الحزن فى صوتيهما ... وامتد ظل كومة العلف طويلا .. وفجأة بلغ الفتيات الخمس صوت خوار ينطلق على بعد خطوات من مكانهن ثم برز من بين الاعشاب وجه فتى على ملامحه الكثير من الغباء تعلوه ابتسامة يتجه بها الى الفتيات العاريات . للمن ثيابهن بسرعة واختفين وراء كومة العلف .

- هيا ..! انصرف بسرعة يا سيباو ..!

- لا ..! لن انصرف ..! انى باق هنا للتفرج عليكم ..! هيه .. هيه .  
انى أحبك يا « زهرة الخوخ » ...

ارتمت عليه « عبير اللوتس » غاضبة :

- أيها الوقح ... يا ابن ... ألا تخشى أن تصبح أعمى ؟ ...



وصدمته فانقلبها معا وابتهلها هو فرصة لكي يقبل ساقى الفتاة ماذا رأسه  
فى حركة مجنونة بين فخذيه . فصاحت هى مستنجدة بصديقاتها :

- النجدة .. النجدة ..! ايتها الاخوات ..!

انقضت عليه الاخريات دفعة واحدة وامسكنه من يديه وساقيه ولكنه غناه  
فى اهتياج :

- يا لها من حلمات بيضاء ..! ما أجملها ..! يا ليتني ...

- سنجبره على ازدراد براز البقر ايتها الاخوات لكي يتأكد من طعم ...  
اندفعن بهمة لجمع براز البقر وامطرنه به الى ان ناشدهن الرفق فى صوت  
منتخب . ثم اندحر كاسفا مشيعا بضحكاتهن ... كانت ضحكات طليقة ،  
ضحكات وحشية منطلقة من تحت أعباء ثقيلة .. وكما هى الرياح الهائجة  
التي تلوي الاعشاب قريبا من سطح الارض كانت تلك الضحكات بصدى  
يتردد فى الفضاء الممتد ... عندها خيل للفتيات الخمس ان كل العالم فى  
حوزتهن .

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلغت جدة « عاشقة القمر » عامها الثمانين وهى تستعد الآن للاحتفال بهذه  
المناسبة . كان الاهل يطلقون على الجدة فى صغرها اسم « كاو كاو » الذى  
يعني « الصغيرة المحبوبة » وطبعاً فان هذا الاسم لا ينطبق عليها اليوم  
بسنواتها الثمانين هذه ويديها المجعدتي البشرة الحشنتين وقوامها المتقوس ..  
قال والد « عاشقة القمر » لابنته :

- غدا هو اليوم السابع من الشهر القمري السابع وهو موعد الاحتفال  
بذكرى ميلاد جدتك .. لا تغادري المنزل اذ يجب ان تساعدى أمك فى اعداد  
الوليمة فالضيوف سيكونون كثيرين ... لا يحدث كل يوم ان يبلغ الانسان  
الثمانين من عمره ... هيا قولى لأمك أن تستعير لنا بعض أربال من الصوجا  
من عند خالك لكي نهىء الجبن !

كانت « عاشقة القمر » تتساءل : « لماذا لا يطلب منها ذلك بنفسه فالمسافة  
بينهما لا تزيد على العشر خطوات ؟ ... أمي مشغولة الآن بأعداد العشاء ..

أبي لا يخاطب أمي مباشرة لكن ذلك ليس عيبه هو فكل القرية قد اعتادت ان تتصرف بهذا الشكل .. ما يمكن الانسان أن يفعل أمام العادات ؟ ... صحيح انه بحضور غرباء عن العائلة يكون من واجب كل من الزوجين أن يتظاهر بعدم معرفة الآخر وان احتاج احدهما لمناذاة الآخر فهو لا يستعمل الا « هاي » أو « هيه » ...

وحتى داخل المنزل « عاشقة القمر » التي تقوم بالصلة بين والديها . كان ذلك يبدو لها في البداية صعبا ، اما في المدة الاخيرة فهي كثيرا ما تتساءل كيف كانا يتخاطبان قبل ولادتها ؟ ... مجرد أن تفكر « عاشقة القمر » انها بعد زواجها ستأكل وتنام مع رجل يكون غريبا عنها ، يبعث في نفسها التقزز كما لو انها اضطرت لابتلاع ذبابة .

والدها يأمرها بأن تجلب البصل من المشتل . رغم ان والدها قد ختم الستين من عمره الا انه لا يعرف أين يقع المشتل فزراعة الحضر محرمة على الرجال .. وهذا أيضا من عادات المنطقة .

ما بال الجدة لا تزال مستيقظة الى الآن ؟ فالدجاجات قد آوين الى القن منذ زمن ولكن الجدة ما زالت جالسة جنب الموقد . هي دائما هناك عند ذلك المكان الذي لا يخلو من ايجابياته اذ انها هناك لا تحتاج للتنقل لكي تأكل أو لكي تفرغ ما في جوفها . مكانها المفضل ذاك لا تحتاج فيه للمصباح ... كان شعر العجوز متوجها تحت ضوء نار الموقد المنبعثة من جذور الحطب . نادتها « عاشقة القمر » مذكرة اياها بموعد النوم لكن العجوز رفضت الانصراف بصوت متهدج يبدو أقوى من العادة يكشف عن ابتهاج ما .

اضطرت « عاشقة القمر » لايقاد المصباح الزيتي فاندعشت لمظهر الجدة الذي لم تعتده من قبل . كانت شعيرات رأسها ، رغم قلتها مسترسلة ولماعة وقد انتظمت في صغيرة ملولبة في شكل قبعة بيضاء كما لو أن الشمس قد ذهبت بألوانها .. ارتدت العجوز سترة جديدة من نسيج القنب الحشن ذات رقبة عالية صلبة استند اليها ذقن العجوز فبرز وجهها المتغضن من خلالها ... « آه ! لقد فهمت ... لقد هيأت الجدة نفسها لاحتفال الغد ! » . ابتسمت

الجنة لحفيتها فى صمت محرقة شفيتها المتغصنتين كما لو كانت فتاة خجولة مرتبكة . اغرقت ابتسامتها تلك « عاشقة القمر » فى كآبة عميقة دفعتها الى تحويل نظراتها عن ذلك المشهد المحزن الذى لا تتحمل مراقبته .

كانت السماء تبدو فى شكل صحن من الخزف الازرق الذى خرج لتوه من تحت الماء .

كانت النجوم ترصعها فتبدو فى متناول الايدي . وكان الهلال رقيقة كحاجب مدور فوق جبين فتاة جميلة وكمنجل ذهبي أو كقارب بلا شراع...

كان ماضي الجنة مشرقا كالاسطورة فعائلتها كانت تسكن قرية « بنر زهرات الخوخ » الجذابة المزهرة الزاهرة دوما بالجميلات . وكانت « كاوكاو » أجمل الفتيات وأشطرهن . لقد كانت تنتهي من صنع زوج من الاحذية المطرزة فى يومين فقط . ولم تكن تقضى أكثر من ثلاثة أيام لنسج قطعة قماش ولكن ما كانت « كاوكاو » تتقنه أكثر من كل شئ فهو تفصيل الورق . فقد كانت النباتات والازهار الورقية تخرج من بين أصابعها نابضة بالحياة وكذلك العصافير والفراشات تطير من بين أصابعها .

عندما بلغت « كاوكاو » السادسة من عمرها أمكنها أن تزور لأول مرة معرض « قرية الاصداف » كان ذلك فى منتصف الحريف . وقد بهر جمالها كل الحاضرين مما جعلهم يتزاحمون لمجرد التفرج عليها . وكانت النتيجة ان داست سبع دجاجات وخمس بطات وقلبت طنجرة ضخمة من الحساء الساخن .

وعندما بلغت السابعة عشر من عمرها وجاء موعد الاحتفال بعيد التين ذهبت « كاوكاو » لزيارة جدتها . وفى الطريق اعترضها قارب بصف من النوتية قرب الجرف النهري . حياها قائد المركب ضاحكا :

— لا يمكن أن تكوني الا إلهة الرحمة فى البحر الجنوبي يا فتاتي الجميلة !.. لا أعتقد أني أتجراً على التقدم أطلب يدك ولكن لو تعلمين كم يسعدني أن ألمس أناملك لمجرد اطفاء هذا الحريق الذى يلتهب فى قلبي ...



أجابته « كاوكاو » مبتسمة وهدباها يرفان لمرات عديدة :

– أن تلمس أنا ملي فذلك شئ عادي أيها النوتي الشمهم ولكن هل تقدر على القفز من أعلى هذا الجرف ؟

ولم تكذ « كاوكاو » تتم كلامها حتى غطس النوتي في مياه النهر . وعندما خرج بعد ذلك كان يبتسم رغم الجروح التي أصابته في رأسه وساقيه . لم يندم على تصرفه .

« هل هي حقيقة هذه الحكاية يا جدتي ؟... رغم أنني في التسعة عشر من عمري إلا أنني لا أعتقد أنني أبلغ قلامة ظفر مما كنته أنت في تلك السن !.. » .

سأعدت « عاشقة القمر » جدتها على انتمدد في فراشها ممددة جسدها الاعمجف . لقد كان مجرد هيكل يكسوه جلد أحمرش تصدر عنه خشخشة خافتة . كانت عروقها بارزة باردة مثل دودات تزحف على الأرض .

« آه يا جدتي !.. يبدو أنك لم تستسلمي ؟... لا شك أنك كنت راغبة في القيام برحلة مع صديقاتك إلى الجنة السماوية قبل أن تتزوجي ؟... ولكن لماذا لم تفعلي ذلك ؟... لا تعلمين لماذا ؟... ها أنت بكل هذا الشقاء !.. ألم تتأسفي على ذلك ؟؟؟ »

فتحت الجدة فمها الادرد مرددة :

– غدا هو اليوم السابع من الشهر القمري السابع يا صغيرتي ؟

– نعم يا جدتي ... انه يوم ذكرى ميلادك ...

هل أنت متأكدة من ذلك ؟...

– نعم ... متأكدة !..

– هل صحيح أن والدك ينوي اعداد وليمة من أجلي ؟...

– صحيح ...! سنهي ثمانية أصناف من الاطعمة اللذيذة ...



- حسنا !.. جيد جدا !..
- فى ما تفكرين يا جدتي ؟
- كم أتمنى أن أجلس الى مائدة الوليمة ...
- لخدمة الضيوف ؟...
- لا !.. أريد فقط أن أقول أن جدتك تتمنى أن تتناول عشاءها على المائدة !..

أخيرا فهمت « عاشقة القمر » لماذا بقيت جدتها مسهدة غارقة فى أفكارها حتى منتصف الليل . صحيح أن العرف يقتضى أن تتناول المرأة المتزوجة أكلها - طوال حياتها - فى المطبخ حتى وإن بلغت الثمانين من عمرها وحتى وإن كان وراءها عرمرم من الاحفاد .

صاحت « عاشقة القمر » ساخطة على هذا الحيف :

- هو كذلك يا جدتي ... غدا سنتناولين طعامك على مائدة الضيوف !..
- هل تعتقدين أن والدك سيسمح لى بذلك ؟...
- يبدو لى ذلك ممكنا فهو قد استدعى الضيوف من أجل الاحتفال بعيد ميلادك ..
- أحقا ما تقولين ؟.. جدتك الآن فى الثمانين ... لا شك انها تستحق...
- تلاشت كلماتها على شفيتها وقد أدركها النوم .

ولما كان فجر اليوم الموالي استيقظت الجدة باكرا فأوقدت نار المطبخ لتسخين الماء . وما هى الا لحظات حتى قفزت « عاشقة القمر » من فراشها وشرعت فى ذبح الدجاجات والبطات بهمة وإتقان ثم نتفت ريشها وأخرجت أحشائها وذهبت بها الى النهر لتنظيفها . صادفها أحد القرويين فى طريقها فسألها :

- هاي !.. هل العمدة فى ضيافتكم اليوم ؟...
- لا !.. انها ذكرى عيد ميلاد جدتي ...
- كم صنفا من الاطعمة ستهيؤون ؟

- أبي ينوي اعداد ثمانية أصناف .
- هل عندكم منطق محشو باللحم ؟
- طبعا .. طبعا !..
- كم هى محظوظة جدتك !.. لا شك أنها ستبلغ المائة !
- انها لا تزال فتية .

وأثناء رجوعها الى المنزل أجابت « عاشقة القمر » على العديد من الاسئلة المهمة بجدتها مما بعث فيها الابتهاج لكل ذلك الاهتمام الذى يبديه الآخرون.

ياله من يوم مشرق . كان نسيم الجنوب يدغدغ أشجار الكاكي فى رفق وقد شارفت ثمارها على النضج : « قد لا يكون فى النهاية مجرد خسارة أن يبلغ الانسان الثمانين من عمره ! » .

تم الانتهاء من اعداد الاصناف الثمانية حوالي الساعة الثالثة زوالا فنصبت مائدة سريعة تحيط بها المقاعد من كل جانب ثم شرع فى تقديم أصناف الطعام . كان كل الضيوف من أعيان القرية ومن كبار أقارب العائلة . جميعهم كانت تجلهم لحي سوداء أو بيضاء .

وما أن وصل الضيوف حتى حملت الأم عدلها ومنجلها وانصرفت لجمع الحشيش دون أن تنبس بكلمة . اما الجدة فعوض أن تتجنب الضيوف كما اعتادت أن تفعل من قبل فقد خرجت من المطبخ وانتصبت واقفة وسط باحة المنزل فى المكان الاكثر تعرضا لاشعة الشمس الجانحة الى المغيب . كانت الجدة تسعى لرفع رأسها عاليا عسى ان يلتفت ابنها اليها ولكن هذا الاخير كان مشغولا بضيوفه .

- هيا تفضلوا ... تفضلوا ...

فى خفة وبسرعة البرق قفز الابن الاصغر على أحد المقاعد سابقا الجميع . سارعت « عاشقة القمر » محاولة ابعاده عن المائدة لكن صوت والدها أوقفها ناهرا اياها فى غضب :

- هيا انزل ...!  
- اتركه ...! اتركه !

كن الصبي الاحمق يرسل باشارات الانتصار فى اتجاه أخته .  
عاد الأب الى الترحيب بالضيوف ممسكا بكأسه .

- اجلسوا ... هيا تفضلوا اجلسوا ... كم يبدو مخجلا أن يكون ما  
اعدناه لا يليق بالمقام ...

فجأة تفتن الأب الى وجود العجوز :

- هيا ياماه ... مالك ألن تتناولي عشاءك ؟ ... انه هناك فى الحجرة  
الداخلية ..! كيف ... ألن تأكلي اليوم ؟.. ان الاحتفال قد أقيم من أجلك ..!

وقفت العجوز متجمدة فى مكانها الى ان تدخلت « عاشقة القمر » فى تردد  
مشيرة الى والدها :  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- جدتي ترغب اليوم فى تناول عشاها على مائدة الضيوف ...

تسأل الأب مدهوشا:

- على المائدة ؟؟؟ ...

وكذلك تسأل كل المدعوين راشقين العجوز بنظراتهم المتعجبة كما لو أن  
العجوز قد تمثلت لهم فى شكل الغول الجبلي ذي الساق الواحدة .

تكلم الأب متلعثما فى اتجاه والدته :

- ان طعام الحجرة الداخلية هو نفسه الذى على المائدة يا أماه ..! ثم كيف  
يمكن أن تجلسي مع الرجال خاصة وانت لا تتناولين الخمر ؟ ... أوف فليكن ..!  
تعالى ..! تعالى .. لتجلسي هنا فمرة واحدة لن تصبح عادة ..!

سارعت « عاشقة القمر » لكي تساعد على الجلوس لكن العجوز دفعتها في نفور ثم استدارت غاضبة في اتجاه الحجرة الداخلية . لكن موقفها ذاك لم يحد من حرارة الاحتفال اذ تواصلت أصوات قرع الكؤوس الى ساعة متأخرة من الليل .

في تلك الليلة لم يبرز القمر من بين السحب . وقد كان مجرد هلال صغير . اما مجرة التبان فقد انزاحت تحت تأثير المطر الذي كان يتساقط في قطرات كبيرة لم تكن تشبه في شيء دموع « النساجة » (\*) . لقد كانت هذه الاخيرة تبكي بشكل مغاير هذا المساء وكان مساء لم تتناول فيه لا « عاشقة القمر » ولا جدتها عشاءهما .

أوت الجدة الى فراشها بكامل ثيابها . ورغم أن حفيدتها قد حاولت ايقاظها الا أنها لم تفلح في ذلك فتمددت هي الاخرى الى جانبها بكامل ثيابها يائسة . وكانت الجرذان تقرض الحشب : شا .. شا .. شا .. وكان الأب يشخر بصوت يزلزل الجدران .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فجأة أمسكت الجدة بحفيدتها :

— كم أنا آسفة .. كم أنا آسفة ..!

لماذا كان يجب أن تتأسف ؟ ... كانت الفتاة تعرف لماذا . لذلك شعرت برعشة تتخللها وبغصة تتكور في حلقها . وشرعت الفتاة تبكي في صمت ماسكة الغطاء بين أسنانها الى ان ارتفع صياح الديك وتراءى لها مع الفجر أنها

(\*) النساجة هو الاسم الشعبي في الصين لنجم « فيغا » الذي تفصله مجرة التبان عن نجم « بوفيه » . وهما يلتقيان مرة في السنة ويتم ذلك يوم السابع من الشهر القمري السابع . وهذان النجمان يرمزان الى التقاء الاحبة . وقد اشتهرت النساجة بمهارتها في الغزل ( المؤلف ) .



كانت ترتدي سترة حمراء وهى سائرة فى طريقها الى منعرج النهر الواقع خلف القرية . وتراءت لها زهرات الاقحوان تتموج صفراء وسط بحر من الحضرة الزبرجدية ومن الفراشات البيضاء العديدة .. فراشه .. اثنتان ثلاثة .. أربعة .. خمسة .. كانت الفراشات كلها فى اتجاه القبة السماوية .

★ ★ ★

كانت زقزقة العصافير قوية الى حد يبعث على الجنون كما لو أنها كانت تردد : « أخوك طيب !.. أخوك طيب !.. » ولكن لا انها مجرد خدعة فأخوك لا يعرف الطيبة أبدا . أخوك الخطاب قد يكون فتى قويا لكن وجهه أسمر قاس جامد لا يعرف الشفقة مثل فأسه الثقيلة . أخوك يضرب زوجته عندما يكون مخمورا بعضا المنشار الذى يقتلع به حطبه ثم يطويها تحته فى الفراش .. يا للقرف !..

كانت العصافير ما زالت تردد : « أخوك طيب !.. أخوك طيب !.. » لا .. لا .. لا هذا ليس صحيحا فان كان هناك شخص طيب فهو زوجة أخيك . وجهها اللطيف يزيد فى تقويسة حاجبيها . اما عنانها فتغنيان طوال الوقت . شعرها الابنوس الكهرمان ذو الثلاثة اقدام طولا يبدو كالحرير الشديد السواد اما يداها الرشيقتان فانهما لا تتركان الدخان أبدا يتسرب الى خارج المدخنة عندما تكون بصدد تهوئة الفرن . وهى عندما تكون تجمع الحشيش للخنازير تبدو كما لو أنها تتلهى بالشماريخ الملونة .

كانت «عبير اللوتس» تفكر أن القدر وحده هو الذى كان فى خدمة أخيها لكي يفوز بها كزوجة وهى التى لم تكن ترضى به ليغسل لها قدميها . كانت «عبير اللوتس» تهوى زوجة أخيها الى حد العبادة لذلك كانت مدفوعة نحوها بدافع الشفقة والحماية . لم تكن «عبير اللوتس» قد اكتشفت أن لزوجة أخيها عشيقا الا فى المدة الاخيرة لاحظت «عبير اللوتس» انه ما أن ينطلق أخوها الى العمل حتى تسارع زوجته بنشر الغسيل . كانت الزوجة كثيرا ما تغسل سترة تزينها زهور زرقاء اللون ثم تنشرها عاليا على عصا من الحيزران ثم تحمل بعد ذلك قفتها ثم تقصد الهضبة الواقعة خلف المنزل . لغت مثل هذا الغياب المتكرر نظر «عبير اللوتس» فقررت ذات يوم ان

تترصد خطوات زوجة أخيها علها تتأكد من ظنونها . هناك فى أعماق الغابة اكتشفت « عبير اللوتس » زوجة أخيها بين أحضان رجل غريب . كانت فى تمام الانفعال .. كان الحبيبان وسط فرجة بين الاشجار تغطيها الحشائش يتبادلان القبل كما يفعل ذلك الدجاج عند التقاط الارز .. وكادت « عبير اللوتس » تصرخ عندما رأتهما . وعندها اتضح لها كل شىء . فالسترة ذات الزهور الزرقاء ما هى الا اشارة متفق عليها بين الحبيين .. انها راية نداء الحب . صادف يوما أن أهدت لها زوجة أخيها منديلا وقد كانت دائما رقيقة معها . ولم تفهم « عبير اللوتس » ما الدافع لتلك الهدية .. ما الذى تسعى اليه من وراء هديتها تلك ؟ ... ابتسمت « عبير اللوتس » ابتسامة مأكرة . كانت ابتسامة زعزعت المرأة الشابة .. فكرت «عبير اللوتس» أنه يكون من الاجدى أن تصارح المرأة بما اطلعت عليه من سرها وأن لا تتركها هكذا تتعذب بهواجسها ... قالت لها :

- اطمئني يا عزيزتي ...

- لماذا نقولين هذا ؟ ... لا شىء عندي أخفيه ...!

مدت « عبير اللوتس » يدها الى شعر المرأة لكي تلتقط منه بقية عشب ندي ثم قربته من وجهها . فشحب وجه المرأة لكن « عبير اللوتس » سارعت بالقول :

- أن تعتبري أنني لم أر أى شىء ..!

منذ ذلك الحين أصبح ما يشدهما الى بعضهما أكثر من ارتباط التواطىء .

تقرر اقامة معرض «قرية الاصداف» بغانغسى ليوم 15 جويلية وكان أخو « عبير اللوتس » قد قصد المعرض منذ الفجر الباكر . وقد التفت الى زوجته عند عتبة البيت وبعد أن ألقى عليها نظرة غامضة قال لها غاضبا أنه سيعود بعد ثلاثة أيام . كان عبوس أخيها قد بعث فى « عبير اللوتس » توجسا حادا لكنها فضلت عدم الافضاء بمخاوفها لزوجة أخيها وهى تراها تشد وردة مخملية الى شعرها .. ثم هى أيضا لها مشاكلها الخاصة . كان لها هى أيضا من ينتظرها هناك فى «قرية الاصداف» .

كان المعرض حافلا بالمعروضات وكذلك بالعديد من الشباب من الجنسين. أرخت الفتيات منديلا على الجبين الى حد الحاجبين وسرن متبخرات فى الشارع وقد حملت كل منهن فى ذراعها قفة يغطيها منديل جديد . وراء الفتيات سار الشبان مادين أعناقهم الى الامام وايديهم وراء ظهورهم تبدو كالبط . تسير الفتيات حتى نهاية الشارع فيتوقفن هناك قليلا ويسارع الشبان باسقاط شئ ما فى القفة مغتتمين الفرصة لتمرير ايديهم على صدور الفتيات ثم يتابعوا ردود فعلهن . اذا تبين عدم اهتمام الفتاة فان اللعبة تتوقف عند ذلك الحد اما اذا التفتت الفتاة وابتسمت فان اللعبة تصبح أكثر تعقيدا . اكتسب المعرض نكهته الخاصة من جراء هذه اللعبة القديمة وكانت « عبير اللوتس » شغوفة بها لذلك لم تكن ترجع خائبة أبدا . ما كان يبهج « عبير اللوتس » أكثر ليس الحصول على الغنيمة ولكن أثر جمالها فى الآخرين . لكن « عبير اللوتس » اليوم لا تحس بأى رغبة فى التفسح فى المعرض لذلك هى لم تجلب معها قفتها .

امتد المعرض على طول الضفة بين الجسرين المتناظرين اللذين فى طرفيه فى شكل موزة عبرت « عبير اللوتس » الجسر الشرقي ثم استدارت متجهة الى اليمين متجنبه بذلك المعرض ها هى الآن عند ضفة النهر . ما أن رفعت نظرها حتى أبصرت بين أشجار العليق شابا يرتدي سترة بيضاء وما أن عرفت حتى سارعت اليه . تقدم فى اتجاهها ثم استقبلها قائلا :

– ها أنت أخيرا !..

– نعم ! لقد وصلت فى الحين !..

كانت متقطعة الانفاس متوجسة . سألتها بدوره :

– هل رآك أحد ؟...

– لست أدري ...

جلس صاحب السترة البيضاء حذو جذع شجرة وكانت حركاته الخشنة المتسرعة خير تعبير عن الكلمات التى افتقدها . ترجمته الفتاة متهربة :

– لا !.. لا !.. أرجوك لا تفعل ذلك !..



- لماذا جئت اذا ؟... ( كان منفعلا .. ثم نفض يديه )
- جئت لكي تهرب بي الى مكان آخر ..!
- لقد أفهمتك من قبل ان ذلك مستحيل ..! لا يمكن أن نستقر فى أى مكان آخر !
- لا يهم المكان .. المهم أن نذهب بعيدا ..! لقد ادخرت بعض المال ...
- هذا لا ينفع !
- أى نوع من الرجال أنت لكي تتركهم يزوجوني من رجل آخر ؟...
- حتى وان تزوجت رجلا آخر فأنت دائما لي !
- لا ! لا يمكنني تحمل مثل هذه الحياة ..! لا يمكنني أن أعيش أكثر فى مثل هذا الخوف الدائم !
- يا للأسف ..!

- كان الماء يمر تحت الجسر الحجري هادرا مخلقا وراءه زبدا أصفر وكان ذلك ينبىء بتساقط الامطار فى المنطقة العليا . أخيرا نطق الشاب بصعوبة :
- فى هذه الحالة سأقتله :
  - أصبح ذلك ؟... <http://Archivebeta.Sakhril.com>
  - ألا تصدقيني ؟...
  - ولكن سيشنقونك ؟
  - ان ذلك لا يخيفني !

- كانت « عبير اللوتس » تدرك جيدا أنه كان يكذب ولكن يلذ لها الاستماع الى كلماته . التجأت الى حضنه مزغلة العينين بالدموع ... فجأة أبصرت « عبير اللوتس » تجمعا صاخبا على الجسر الحجري . كان الناس يهرولون من جانبي الجسر فى اتجاه منتصفه... ماذا هناك ؟... وسط الضجة تبينت « عبير اللوتس » صوت أخيها . وكما لو أن ابرة وخزتها قفزت من مكانها دفعة واحدة مبعدة عنها صاحب السترة البيضاء ثم انطلقت تجري فى اتجاه الجسر .

كانت حواجز الجسر من الجانبين قد تحطمت منذ مدة ونبتت الاعشاب بين الصفائح الاردوازية متوحشة متداخلة .. هناك كانت تقف امرأة شابة عارية



بيديها مشدودتين وراء ظهرها وقد علقت فردتي حذاء بال من القش في رقبتهما . كانت المرأة ترتعش تحت انظار الجمع الحاقد كالورقة في مهب الريح . حاولت ان تحني رأسها هروبا من تلك النظرات كما تفعل النعامة . لحسن حظها ان كان شعرها الطويل الغزير المشعث يغطي صدرها .

اما جلادها فكان فتى قوي البنية . أمسك الفتى فأسا في احدى يديه ومنشارا باليد الاخرى . كان حد الفأس يشع ضوءا سخنا .

اختلطت صيحات الاستنكار والغضب والتنديد بحركات الاستهزاء . كان الفتى يصيح :

- انظروا اليها ...! انظروا اليها أيها الخلق ..! انها زوجتي .! لقد ضبظتها مع عشيقها ..! أنا زوجها ..! سيدها ..! سأؤدبها ..! لا أريد أن يتدخل أى أحد ..! الويل لمن يتدخل ففاسمي عمياء ..!

تكاثف الجمع حول المكان متشوقين لرؤية المشهد .. كيف لم يتجمع بعد كل زوار المعرض والقراد وقردته متغيبون اليوم عن المعرض ؟ ... تزامم المتفرجون وبدأت الحلقة تضيق حول الزوجين . كان في امكان الواقفين في الصفوف الامامية مد أيديهم ولمس أى جزء من جسدها . وفجأة خيم صمت غريب . توقفت أعين الرجال عن الحركة ثم تجمدت في وضع ثابت في حين ترايدت حركة تفاحة آدم في حناجرهم متصاعدة هابطة .. اما نظرات النساء فقد كانت تطفح غيرة وخوفا . وفجأة .. كما توقفت الحركة عاد الجمع دفعة واحدة الى شتم المرأة رجالا ونساء كما لو كانوا متضايقين من وضعهم ذاك .

- أيتها الفاجرة .. هل حقيقة أنك خجلة من عريك ؟ ...

- هيا ... قولي لنا كيف كان الامر مع عشيقك ؟ ...

- هيا ... قولي ماذا فعلت معه ؟ ...

- تكلمي ..! تكلمي ..! ( صرخ الزوج في غلظة ) :

- اسحق وجهها ان رفضت أن تتكلم ..!

كراك ... وهبطت عصا المنشار على كتف المرأة تاركة عليه في الحين علامة بارزة داكنة .

- هكذا يكون التأديب ! انها تستحق الموت فى الترة كما تقتضى ذلك  
التقاليد ..!

- اضربها ..! اضربها ..! حطم شهوتها الشريرة !

كراك ... كراك ... كراك ... كانت ضربات عصا المنشار تنهاوى على المرأة  
وجنبها وردفها .

- على كل هو غير مسؤول أمام القانون لو ماتت تحت الضرب فهي  
زوجه !

كانت «عبير اللوتس» تفكر وقد خلا شعورها من كل احساس بالشفقة  
أو الرحمة أن الجهل على هذه الارض لا يمكن الا أن يؤجج الوحشية والغلظة ...  
فنحن النساء كنا دائما الضحايا الاكثر تعرضا للاهانة والتعذيب ...

مدفوعة بالزحام كانت «عبير اللوتس» تحس كما لو ان الديدان تنهش  
جسدها فى كل موضع أو كما لو أن الجمر يتقد عليه . ليس صحيحا ان زوجة  
أخيها هي التي كانت تعزى فى ذلك الحين بل «عبير اللوتس» نفسها .

اندفعت «عبير اللوتس» محركة منكبيها لكي تحمي المرأة الاخرى  
بجسدها هاتفة بأخيها مترجئة اياه :

- اتركها ..! ارجوك اتركها ..!

- هيا ابتعدي ..!

- أرجوك يا أخي ..! أرجوك ..

- أيتها الحائنة ...

وأهوى الاخ بعصا المنشار على رأس أخته . ولما رفعت يدها الى جبينها  
احسست بالدم يسيل من بين أصابعها ولكنها لم تكن تشعر بالألم . فقط استولى  
عليها اليأس والدهشة . لم تكن تدري أين يمكنها أن تذهب . تفتنت «عبير  
اللوتس» فى ذلك الحين الى أن صاحب السترة البيضاء كان بقربها .

- لقد اعتدى عليك ... اتركيني أرى ذلك !
- لا ! لا شيء ..!
- ماذا ينفكك التدخل في شؤونهم ...؟
- انها زوجة أخي !
- لقد نالت جزاءها ..! لا أحد أمرها بأن تخون زوجها !
- ماذا تقول ...؟
- انسي ...

التفتت « عبير اللوتس » دفعة واحدة وعيناها تكادان تنفجران من الغضب ثم رفعت يدها وأهوت بصفعة شديدة على وجه صاحب السترة البيضاء .

ترقرق ماء النهر هادئا تعلوه طبقة من الزبد سرعان ما ذابت . قبل أن ينتهي النهار دخلت « عبير اللوتس » الى دكان لبيع الاقمشة . سألت البائع :

- هل عندكم قماش من القطيفة أرجواني اللون ؟
- منذ حين فقط وصلتنا منه كمية !
- احتاج الى خمسة أقدام ونصف .
- هل هو لاعداد سترة ذات حزم ؟
- لا .. انه لتهيئة ثوب ذي قطعتين !
- في هذه الحالة يستحسن أن تأخذي ستة اقدام .
- هات قطعة بستة اقدام .

- يتبع -

بوراوي عيجنة :

## السياسة من خلال « وقائع حارة الزعفراني »

تمهيد :

كثيرة ومتنوعة هي الروايات التي قرأتها منذ الشباب حتى الآن ، لكنها مع مرور السنين وتكاثر - مشاغل الحياة تلاشت وفرت من الذاكرة - ولم تبق منها غير ملامح ضبابية وخطوط عامة ، مثل طيف ما فتى يتلاشى ويغيب في الأفق .

وقليلة هي الروايات الاصيلية التي تفاعلت معها تفاعلا كبيرا ، وظلت عالقة بالذاكرة لا تنزحزح من مكانها أبدا ، مثل حروف منقوشة على الصخر الصلد ، أو مثل وشم بديع على الذراع ، ما زال يشع منها نور قوي لا يخبو ، مهما اشتدت أنواع الحياة وأعاصيرها ، بل لعل الضوء يزداد توهجا وتألعا مع مرور الايام .

ومن هذه الروايات القليلة المتميزة التي قرأتها ، في جلستين أو ثلاث جلسات ، ثم عدت اليها لأدرسها على مهل رواية الكاتب المصري جمال الغيطاني ؛ وقد ألفها سنة 1973 .

اخترت اليوم أن أتحدث عن بعض الجوانب الفكرية والفنية في هذه الرواية التي تندرج ضمن تيار الرواية العربية الجديدة التي بدأت تفرض وجودها منذ السبعينات وتضيف اضافات متميزة الى روايات نجيب محفوظ والطيب صالح ومحمود المسعدي وغيرها من أعمال الروائيين الكبار المعروفين .

(\*) نص مداخلة قدمت في ملتقى ابن رشيق للنقد ( دورة أبريل 1989 ) في القيروان .



ولعل أبرز ما يشد الانتباه عند الجيل الجديد من الروائيين العرب الذين تجاوزوا الأربعين سنة ببضعة سنوات ، أمثال القعيد والحراط من مصر ، والطاهر وطار من الجزائر ، ومحمد المديني من المغرب ، وعبد القادر بن الشيخ من تونس وغيرهم من البلدان العربية كثيرون ، أنهم التقطوا من الواقع أحداثا طريفة بسيطة ، أو تخيلوا أحداثا عجيبة لا يصدقها العقل ، ولم يلتفتوا الى المشاغل الظرفية ، وانما كشفوا عن خبايا الواقع العربي في مشرقه ومغربيه ، بطرق فنية ثرية جدا . وتفتنوا الى التحولات الحضارية والمنعرجات الهامة ، ومنها حرب العرب سنة 1967 ، وحرب لبنان الاهلية منذ بداية الثمانينات . وقد وظف بعض الروائيين « الجنس » للتعبير عن رؤية حضارية فكرية تامة هي رؤية مثقف عما جرى حوله من تحولات عميقة وعرضه تصوراتيه وما اقترحه بديلا لذلك الواقع .

وستحدث في هذه الجلسة الادبية عن قضية واحدة هي قضية السياسة وما تفرع عنها من قضايا أخرى في رواية جمال الغيطاني ، أو بعبارة أخرى سنتحدث عن تجليات السلطة الحاكمة وأعمال أجهزتها الظاهرة وخاصة الخفية ، وتأثيرات ذلك على السكان ، وأبعاد تلك القضايا ومدلولاتها الفكرية.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

### الحدث الرئيسي في الرواية :

« الوقائع » مجموعة أحداث ، أو مصادمات عاشها سكان حي شعبي عتيق بالقاهرة القديمة : هو حي « الزعفراني » ، في آخر الستينات . وتتضمن التسمية نفسها رائحة الزعفران العطرة ، تفوح في الاسواق القديمة . كان السكان يحيون حياة عادية ، وفجأة جرت حادثة ، قلبت مجرى حياتهم رأسا على عقب ، لقد استيقظ الرجال ذات صباح فوجدوا أنفسهم عاجزين عن ممارسة الجنس ، بدون أى سبب مرضي ظاهر ، فقصدوا الاطباء للمعالجة ، بدون فائدة . وعندما انسدت أمامهم سبل الشفاء ، اتجهوا الى شيخ كسيح عرف بصلاحه في الحي ، لعله يخلصهم من عجزهم ، ويرجع اليهم قدرتهم الجنسية المفقودة . ومن هنا انطلقت الاحداث ، وتفرعت ... وقد كشف الغيطاني من خلال خطين متوازيين في السرد متشابكين متعاقبين في آن عن ماضي السكان من جهة ، وردود فعلهم أمام الحدث الغريب من جهة ثانية . واستعمل المؤلف من الاساليب الفنية الكثيرة أسلوب الواقعية والرمز معا .

ويمكن أن نعتبر الرواية ملفاً ضخماً ضم بين دفتيه سرد أحداث يومية عادية ، وتقارير رسمية أرسلها المخبرون لرؤسائهم ، وقصاصات من الجرائد الوطنية والعالمية ، ومذكرات شخصية دونها أحد الأشخاص ، كما نجد أيضاً تعاليم الشيخ الكسيح ، وغير ذلك من الوثائق ... تلوح لأول وهلة أجزاء متناثرة ، مبعثرة ، لا يربط بينها رابط ، لكن المتأمل يلاحظ أن ما يوجد بين تلك الأشكال جميعاً في الحقيقة ذلك الحي العتيق ، وهو رمز المجتمع العربي في أواخر الستينات ، وشهادات سكانه العديدة ، ورؤية المؤلف الفكرية الملزمة ، وتقويم واقع كامل لم يعرفه المصريون فحسب وإنما العرب جميعاً .

### السلطة وأجهزتها

كانت لهجة المؤلف وهو يصور أحوال السكان ، متوسطي الحال والمحتاجين ، زاخرة بالدعابة والمزاح اللطيف ، ولكنها كانت مقابل ذلك وهو ينتقد أجهزة السلطة مفرقة في السخرية بل حتى في السخرية السوداء القاتمة .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

(I) - نظام الحكم :

لقد صور جمال الغيطاني وهو يستعرض أحداث الستينات التحول الفكري العميق الذي وصل إليه رجال الحكم السياسي ، فبعد رفعهم شعارات الاشتراكية والعدالة الاجتماعية والحريات العامة ، في بداية الخمسينات ، أصبحوا من أشد أنصار الرأسمالية تصلباً . قال « حسان » مثلاً ، وهو أحد شبان الحي المتعلمين « مع توالي السنين أصيب الخيال بضمور ، يوماً بعد يوم يتنازل الإنسان عن أحد أحلامه ، حتى يتنازل عن الحياة نفسها » (ص 186) . وقد عبر بذلك عن خيبة أمل المثقفين في تحقيق آمالهم وعن البون الشاسع بين الشعارات الرسمية الجذابة المرفوعة والممارسات الحقيقية المقابلة لها في الواقع اليومي . وقد اعتبر الشيخ « عطية » الكسيح أن جميع الأنظمة السياسية في العالم على مر الدهور كانت ترفع شعارات جذابة ولكنها عجزت عن تحقيقها في الواقع الاجتماعي .

وهكذا ، فقد صور الغيطاني هزيمة العرب السياسية عامة ، ثم هزيمة العرب الحربية على وجه الخصوص ، من خلال سرده أحداثاً عاشها السكان ،

ومنهم موظف كهل تقليدى هو « حسن أفندي » ، وما ان سمع المذيع يقول فى اليوم الاول من اندلاع حرب جوان 1967 : « هاجمت اسرائيل مطاراتنا فى كافة أنحاء الجمهورية » حتى حدث زملاءه ، مستنتجا : « خسرنا الحرب » وصدقت بعد ذلك تنبؤاته

## (2) - جهاز الأمن :

ثم تجلت السلطة الحاكمة ، وظهرت فى جهاز أمنها : وهو يتكون من مخبرين سرعيين تنوعت أعمالهم ووسائلهم وتجهيزاتهم تنوعا عجيبا ، تنقلوا فى جميع الاماكن العامة والخاصة ، واستعملوا تقنيات عصرية جدا ، فقد راقب المخبرون السريون السكان قبيل المأساة وبعدها ، سواء تحركاتهم أو أقوالهم أو أفعالهم ، بل حتى فى نواياهم الخفية ، ورفعوا التقارير العديدة الى السلط العليا لتحليلها واتخاذ الاجراءات القمعية الزاجرة ، والتصدى لاي تمرد فردي أو عصيان جماعى من السكان ، واستخدمت اضافة الى وسائل التجسس المعروفة أجهزة قياس البناءات للنظر من خلالها الى الشرفات ومراقبة السكان ، واعتبرت ابتسامة شيخ متقاعد واقف فى شرفته مريبة تنذر بالتحريض على العصيان والتخريب . وكلفت السلطة لجنة بالتصنيت على الناس فى الاماكن العامة ، وجمع النوادر والاشاعات ، ولجنة ثانية بتحليلها ، وثالثة - تكونت من الاساتذة الجامعيين - بدراسة التعاليم الجديدة التى بشها الشيخ الكسيح فى الحى ، وايجاد تسمية للمذهب الذى بدأ الناس يتجمعون حوله ، فأطلقت اللجنة ( غير المحايدة ) عليه اسم مذهب « الزعفرانيزم » باضافة لاحقة « نيزم » الى اسم الحى التقليدى . وارسلت السلطة الحاكمة طائرة خاصة لجلب آخر كتاب تضمن أحدث الطرق فى مقاومة « التخريب » .

إنها أجهزة عصرية جدا وطاقات بشرية عديدة وتقنيات علمية متطورة ، سخرت فى بلد متخلف ، لا للتعرف على قوات العدو الاسرائيلى العسكرية والتهيو لرد هجوماته المباغته ، وانما للتجسس على المواطنين المسلمين حيثما حلوا وتوجهوا . ولم تشتد عن تلك المراقبة حتى زنانات لسجون وأركان المنازل المتواضعة . والملاحظ ان التقارير الرسمية لم تدن السكان المعارضين فحسب وانما شملت أيضا أشخاصا ضعافا لا حول لهم ولا قوة ، فالصقت بهم تهما لا أساس لها من الصحة أبدا .



لقد خصصت السلطة الحاكمة هذا الجهاز الأمني المصري لمراقبة كل فكر تحرري ، وقمع أية حركة معارضة ، سواء انتمى أصحابها الى اليمين - مثل الاخوان المسلمين - أو الى اليسار - مثل الشيوعيين - وقد جعلت السلطة هذا الجهاز درعا تحتمي وراءه وتحافظ به على سيطرتها على السكان التي بدت تتلاشى مع الايام بسبب التحول السياسى : من نظام كان يدعو الى الاشتراكية الى آخر يمارس الرأسمالية الظالمة . وكان الغيطاني يحمل السلطة الحاكمة أكبر نصيب من مسؤولية هزيمة العرب العسكرية ، بل كانه يعتبر ان تلك السلطة قد هيات للهزيمة ومهدت لها بقمعها السكان .

### (3) - الأحزاب السياسية :

لم ينقد المؤلف المناضلين القدامى السياسيين لانهم تخلوا عن مبادئهم فحسب وانما نقد أيضا الاحزاب المعارضة للسلطة . فقد أصاب العجز جميع السكان ، باستثناء رجل وامرأة ، لم يكشف الراوى عن هويتهما الا فى نهاية الرواية ، كشفا لم يخل من غموض ، ويرمزان لجيل المثقفين الوطنيين الاصيلين تشبثوا بمبادئهم وواجهوا الازمات المتلاحقة وآمنوا بالحلص من الهزيمة .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وقد ختمت الرواية والسكان متمردون على السلطة السياسية التي أمرتهم بالقبض على زعيم المذهب الجديد ، عاقدون العزم على حل مشاكلهم بالاعتماد على أنفسهم ، رافضون الاغراءات المالية المعروضة عليهم ( ويحمل أحد ملفات الرواية عنوان « الثورة » . وقد استطاع أنصار مذهب « الزعفرانيزم » أن يشرعوا فى تحقيق مبدأ الاشتراكية فى الطعام والاعمال والاموال . وبقي شابان معارضان - أحدهما من الاخوان المسلمين والثانى من الشيوعيين - بعيدين عن الحي ، لم تطلهما أيدي أجهزة الامن السرية . واتفق موظف جامعي مع صحافي ملتزم على العمل الجماعى المنظم ، لتحقيق القيم التي عجز عن تحقيقها جيل المثقفين الشيوعيين القدامى الذين تجاوزتهم الاحداث . قال الشيخ الشيوعى المتقاعد لنفسه ، متحدثا عن « حسان » الشاب جارد وابنه الروحي : « تراوده راحة حقيقية ، الآن أمامه من سيواصل الدفاع بحماسة القديم . القضية متجددة وما أنفقوه من العمر لم يضع هدرا » ( ص 191 ) . وهكذا فقد ختم المؤلف روايته بخاتمة مفتوحة متفائلة جدا ، معتبرا ان هزيمة



العرب لم تكن حادثة عفوية وانما كانت نتيجة طبيعية منتظرة بعد سلسلة من التصرفات الفاسدة المتراكمة .

وقد وجه الغيطاني لومه أيضا لافراد الحزب الشيوعي القديم لاعتمادهم وسائل تقليدية ومظاهرات سلمية فى العمل السياسى وخوضهم المتواصل جدلا عقيما كان يؤدي بهم أحيانا الى التناحر والعداوة ، وتخاذل بعضهم اثر اعتقالهم ، وتحولهم من النقيض الى النقيض ، أى من وطنيين مندفعين الى جواسيس داخل السجون ومتاجرين بأجساد نسائهم داخل منازلهم .

وقد تهكم الغيطاني من أتباع المذاهب التقليدية أمثال أنصار « المحور » واصرارهم على التغنى بانتصارات « هتلر » وقواد جيشه وتهكم أيضا من المتشبهين بأمجاد العرب القدامى فى الاندلس ، ومن أتباع النظام الملكى فى مصر وانتظارهم رجوع ولي العهد الى الوطن ليستعيد ملك أجداده ويجلس على العرش .

لقد رفض هؤلاء الاشخاص التقليديون الاقرار بالهزيمة وعارضوا تقدم تيار الزمن الزاحف الى أن جرفهم وألقاهم خارج دائرته . وفى نهاية الامر أصيبوا بالعجز الكامل أو جنوا جنونا تاما فخرجوا عند ذلك من حلبة الصراع مذهولين .

وأما المذهب الجديد « الزعفرانيزم » فهو خلاصة عديدة من المذاهب القديمة والجديدة : ومنها القرمطية والتصوف والسحر والاشتراكية والشيوعية والاممية العالمية ... قام هذا المذهب الفسيفسائى على جملة من القيم جمعها زعيم الحى فى مناظير أو فصول أربعة ، ( والميظور لغة ما يرجى خيره ) ، تدعو الى نبذ الحروب والقضاء على الاحتقاد والظلم من جهة ، والى تحقيق العدل والمساواة ونشر السلم من جهة ثانية ، لا فى المجال النظري فحسب وانما أيضا فى المجال التطبيقي . وشرع الشيخ فى تنفيذ التعاليم بنزع القدرة الجنسية عن السكان حتى يتجردوا عن أنانيتهم وتمسكهم الشديد بالمادة ، وحتى يتهيئوا لتنفيذ التعاليم المعقدة الدقيقة . وتزايد الاتباع داخل الحى وخارجه . وبدأت التعاليم تطبق ، فزالت الحصومات والفوارق بين الجيران أو نادت ، وتغيرت أساليب الكلام ، فحلت جملة « هذا زمن القرار » ( أى من

المستحيل الى الممكن ) محل التحية العادية ، وتساوى الفقير ومتوسط الحال ، وتقاسم السكان الطعام والشراب والاعمال ، واتسعت الدائرة حتى شملت أرجاء المعمورة شرقا وغربا . وانتهت الرواية والبشرية جمعاء تستعد لاعتناق تعاليم المذهب الجديد وتطبيقها فى انتظار - كما جاء فى أحد المناظير - أن « يصبح العالم كله أوراق شجرة واحدة . حبات عقد متساوية . مصابيح ثريا . وغزلان مرعى واحد » ( ص 184 ) .

لقد أراد المؤلف بهذا الحدث العجيب الرمزي أن ينبه العرب الى أن الهزيمة كانت امتحانا عظيما لهم ، أو ناقوس خطر دق بعنف ، ليكشف لهم عن واقع فاسد متعفن ، وأن عليهم أن ينسوا العدوات وينبذوا الاحقاد ، وأن يواجهوا الواقع كما هو ، ويعملوا من أجل خير الانسانية جمعاء ، بالترفع عن المصالح الفردية والقطرية والتعاون على مستوى عالمي وانساني شامل .

ولعمري ان هذا المذهب الفكرى مثالي شبيه بالمدن الفاضلة التى حلم بها الفلاسفة على مر العصور ابتداء من افلاطون ومرورا بالفارابي وانتهاء الى ماركس . وحتى ان لم تتحقق تلك المدن الفاضلة فى مجال الواقع فانها تظل مع ذلك مطمحا صعبا يحاول الإنسان تطبيقه أو حتى الاقتراب منه قدر المستطاع .

ولا تظهر طرافة رواية الغيطاني فى هذه الرؤية الفكرية الجديدة فحسب ، وانما أيضا فى الطرق الفنية التى استعملها للتعبير عنها : ومنها تصوير انحدار الاشخاص التدريجي نحو الجنون ، وتصوير رؤاهم من الداخل . واستعمال لغة التصوف عند الحديث عن المناظير ، واستعمال مفردات وتراكيب تؤدي فى الظاهر معاني محسوسة ، لكنها تعبر فى الحقيقة عن مفاهيم مجردة شفافه ، وقد وظف المؤلف « المسسخ » - كما نجده بكثرة فى ألف ليلة وليلة - ليرمز به الى اليأس والجمود الفكرى التام .

#### (4) - الصحافة :

الصحافة الرسمية وسيلة أخرى من وسائل السلطة السياسية ، أو جهاز آخر من أجهزتها الكثيرة غير المباشرة ، استخدمتها لتضليل الرأى العام

الداخلي والخارجي ، ولتوجيه السكان الوجهة التي اختارتها لهم وفرضتها عليهم . فقد أخفت الاذاعة المسموعة والمرئية والجرائد حقيقة أمر سكان ، أى عجزهم الجنسي ، أو بعبارة أخرى الهزيمة الشاملة ، فترة من الزمن . ثم اعترف المسؤولون بما راج من أخبار بعد أن كشفت عنها وسائل الاعلام العالمية وحللتها تحليلًا عميقًا ، وبدل أن تجابه السلطة الحاكمة الواقع الجديد بحزم ، حملت مسؤولية الهزيمة شيخ الحي وانصاره ، وحرضت السكان على القبض عليهم مقابل مبلغ مالي مغر .

لقد كشف الغيطاني عن واقع الاعلام العربى فى أواخر الستينات وبداية السبعينات : كانت الحكومات تضلل شعوبها وتخفي عنها الحقائق ، وتروج أخبارا زائفة ، وتكذب ، وتتباهى بتفوقها على العدو الاسرائيلى ، « وبتحطيمها طائراته كالذباب » بينما الواقع أن هزائم العرب كانت متلاحقة .

وانتهت الحرب بالهزيمة المعروفة . وبدل أن تغير وسائل الاعلام طرفها فى التعامل مع المواطنين أصرت على سياسة التضليل وحملت أحزاب المعارضة جميع الاخطاء .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وقد حمل الغيطاني بذلك النقد الصحافة الرسمية المساندة للسلطة احدى مسؤوليات هزيمة العرب أيضا ، مبينا أنها ، عوض أن تنبه السلطة الى أخطائها ، ساندتها ودعمتها ، وتمادت فى اخفاء الحقائق عن السكان طويلا .

واستعمل أسلوب « الملصقات » ، وتمثل فى مجموعة من التصريحات الرسمية والمقالات الصحافية المنشورة فى الجرائد العالمية ، وجعل الجنون يعبر عن العقل ، والعبث يرمز للواقع الحقيقي . وهى لعمرى من التقنيات الروائية الحديثة أثرى بها الروائي المصري فنيات الرواية العربية الجديدة ، ووسع بها مع أبناء جيله درب الكتابة وطوره . ولعل أبرز ما يشد الانتباه فى الرواية استعمال المؤلف لهجة تغلب عليها روح السخرية والتهكم أثناء معالجة القضية السياسية الجادة ، وابتعاده عن الاسلوب المباشر واللهجة الخطابية .

ولم يعرض المؤلف وجه الصحافة القائمة فحسب وانما صور أيضا وجهها المشرق المأمول تحقيقه . ومن بعض ملامحه التعامل مع الحدث تعاملًا



موضوعيا ، والانطلاق دائما من الواقع ، بجميع ما فيه من نقائص ومساوئ ، لتحليله وتقويمه وتجاوزه بعد ذلك الى ما هو أفضل . إن الحقيقة من خلال هذا المنظور متعددة الوجوه متسترة يصعب الظفر بها ، ولذلك لا مفر من النظر اليها من خلال زوايا متعددة ، والكشف عنها تدريجيا بفضل رؤى مختلفة . وهذا ما فعله الكاتب عندما قدم شهادات عديدة جدا .

إن الغيطاني - الذي عمل وما زال يعمل في الصحافة - من دعاة رفع الرقابة عن الصحافة والسماح لرجال الاعلام بالجهر بالحقيقة والاصداق بالآراء النقدية في ظل الحرية ، وفي ذلك خدمة للمواطنين وللسلطة الحاكمة في آن واحد . وإن هذه الدعوة الفكرية لا يمكن أن تحقق الا في اطار ديموقراطي متعدد فيه الآراء ، وقد تتقابل فيه وجهات النظر . ولا نظن الانظمة السياسية ديموقراطية الا متى اعترفت بنقائصها ووفرت للسكان القدرة على انتقادها من خلال وسائل الاعلام .

### خاتمة :

وصفوة القول أن جمال الغيطاني روى مجموعة من الاحداث اليومية البسيطة ، أو المعارك الصغيرة ، خاضها مواطنون من الفئة المتوسطة والفئة الفقيرة ، واجهوا أثناءها أتعاب الكدح اليومي وعرض بعضهم أجسادهم بضاعة في سوق الاستهلاك ، وفشل جلهم في التصدي لمأساة العجز الجماعي . وبدل أن تساعد السلطة على حل أزماتهم العديدة زادت في حداثها بقمع أعوانها السريين اياهم ومطاردة المعارضين منهم وبتضليل أجهزة الاعلام الرأى العام واخفائها حقيقة الهزيمة .

مهدت جميع تلك المعارك الصغيرة للحدث الرئيسي الهام : وهو « العجز الجنسي الجماعي » ، رمز هزيمة العرب الشنيعة في شهر جوان من سنة 1967 . وكانت « تتويجا » - ان صح التعبير - لهزيمة حضارية متتابعة الاطوار ، ووضع اجتماعي ما انفك يزداد تعفنا في جميع مجالات الحياة . وقد أنشأ المؤلف على انقاض تلك الهزيمة المدمرة مذهباً فكرياً دعا من خلاله الى التعاون بين جميع أبناء البشر ، حاولت السلطة الحاكمة ما استطاعت منه ، لكنه ما فتئ ينتشر ويلقى الانصار والمؤيدين في البلاد وحتى في أقصى بلدان العالم .



وهكذا فقد كشف الغيطاني كثيرا من أقنعة السلطة ، واقترح وجها آخر لسلطة ديموقراطية ، مستعملا في ذلك التقنيات القصصية المصرية : ومنها سرد الحدث من وجهات نظر عديدة ، والحوار الباطني الذي كشف عن مواطن النفوس ، وتضمين قصاصات من الجرائد والمجلات . واستعمل المؤلف أيضا وسائل قديمة من التراث الادبي العربي ، ومنها استعمال طريقة لغة الاستطراد ولغة الصوفيين و « اللامعقول » المؤلف في الخرافات الشعبية مثل ألف ليلة وليلة ... كل ذلك لتقويم واقع حضارى ومنعرج تاريخى عرفهما العرب فى أواخر الستينات .

ويصعب أخيرا تصنيف رواية الغيطاني ضمن صنف روائى معين لشراء فنياتها اذ نجد فيها القصة والنادرة والحدث اليومى والمذكرات والشعر ... ولعل أقرب تيار منها هو تيار الواقعية الجديدة التى لم يعد أصحابها اليوم يلتزمون بمذهب فكري واضح بل تعالوا على جميع المذاهب وتسلحوا بـ « اللامبالاة » لتعرية خفايا الواقع الاكثر تسترا والتعبير عن كل ذلك بأساليب فنية متجددة .

ان رواية الغيطاني جدول صغير أو رافد من الروافد العديدة يصب فى نهر الرواية العربية الجديدة المتجسمة لا فى روائى مشهور وانما فى قائمة من الروائيين يشتركون فى تأسيس أحد التيارات الادبية .

**بورواي عجيبة**

## الحصان والقبعة

أمر «السرطان» رجاله أن يبحثوا له عن قبعته بين الأشجار .. فرك جبينه وأطلق عنان خياله العسكرى . أبصر وهو مغمض العينين سحب الدخان ونيران المدافع والصواريخ وحصانه الجامح يسقط من أعلى ربوة . ابتسم لانه حقق بين نومه والمركة نصرا وهما لم يحصل لامثاله طيلة قرون من المناورات والخطب الحماسية وحفلات العزل والتنصيب . رفض على امتداد الطريق المؤدية من الذاكرة الى الغابة أن يترك الأشجار والحقول والاكام تظهر فى طوفان الشروق كما الواقع كلما احتضن أشياءه ولم يلهج بغير الأشياء ، وقرر بمفرده أن يسكن أفكاره وأحلامه فى خطوط الطول والعرض .. صففها فى اتجاه المرمى ولم يطلق النار مخافة أن يطير سقف الجمجمة وتضيع كل البرامج الدفاعية . واستطاع أن يذوب الأشجار فى الحقول فلم يترك من الأرض الا عيذاتها والحجارة ووجها مسطحا يمكن للسيارات العسكرية أن تمر عليه دون أن تثير غبارا وأشباح أطفال ونساء يركضون فى كل اتجاه ولا تسمع أصواتهم فى دوى الطائرات وهى تطلق حبالها فى وجه الشمس وبريق الصيف . وحينما خطط «السرطان» لعملية الهجوم على مختطفي قبعته تراءت له أشياء الغداء على مائدته مدافع وسيارات ومواقع أمامية وخلفية وقبعات وأمعاء ورؤوسا متناثرة كحبات الحمص ، وبعد أن ألقى الرأس على الوسادة هاجمته حمى القيادة ، فابصر وجه زوجته كأنه فى وهج النار يقول : «افعل ! لا تفعل» وعيناها تتسعان وتضيقان والغيوم تبتلع حصانه والأشجار ..

سمع بين النوم والمركة صوت كاتبته الحسناء فى المكتب المجاور يدق خلوة المكان ، وأظلمت فى رأسه احقاد من علموه « تكتيك » المواقع الخلفية .

قد يتساءل الكاتب والقارىء : من هو «السرطان» ؟ انه رجل يتربع على عرش الحرب الكاذبة فى السهول النائية ولا يملك حصانا ولا قبعة .

مصطفى الكيلانى

## الرجل الذي فقد وعيه

ذات عشية من فصل الحريف - منذ سنوات مضت - كنت أجلس واحد  
الاصدقاء أمام مقهى قدماء المحاربين - بالواحة الجميلة المتباهية بتعدد قراها،  
ووفرة نخيلها ، وجودة تمورها .

كان المقهى يطل على ساحة رحبة تتصل من أحد جنباتها بسوق البلدة  
التي تنشط بها الحركة ، وتنتعش فيها الحياة يوم الثلاثاء من كل أسبوع .  
غير بعيد من المقهى ربضت بعض سيارات الاجرة . تحت أشجار السرو  
العملاقة القائمة هنا وهناك رجال ونسوة وأطفال فرادى وجماعات ليصيبوا  
شيئا من الراحة ، أو في انتظار مقدم مرافق أو حلول لحظة العودة الى هذه  
القرية أو تلك .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

كانت الساحة تعج بالحركة . والبلدة عموما تشهد نشاطا كبيرا - يوم  
السوق - وفي تلك الفترة من السنة بوجه خاص التي يلتقي فيها موسم جنى  
التمور بعودة العمال المهاجرين من بنيتها وابناء القرى المجاورة الذين تعودوا  
أن يقضوا اجازتهم السنوية بين أهلهم وأبناء عموماتهم فى ذلك الفصل من كل  
عام ينعمون بدفء القرب منهم وبحرارة شمس بلادهم الساطعة على الدوام  
فينسيهم ذلك وحشة الاغتراب بالبلاد الفرنسية وقسوة بردها وصقيعها .

مضيت أنقل الطرف هنا وهناك أتابع ما يجد على الساحة من مشاهد لا  
تخلو من غرابة وطرافة . وكأني أشاهد مسلسلا تلفزيا مسليا . ولعله مما  
ضاعف من استغراقي فى تلك المشاهد أنني كنت أجلس هناك لأول مرة .

ومن حين لآخر كان يمر بنا أحدهم فيأتي للسلام علينا . وقد يكتفي  
بتحيّتنا من بعيد .

فجأة وقف أمامنا كهل ما تزال به بقية من شباب ، قد غزا الشيب  
مفرقيه ، وأخذت الغضون ترسم خطوطا دقيقة على جبينه ووجنتيه ، معتدل  
القامة ، نحيل الجسم ، نحاسي البشرة ، حليق الوجه ، نظيف الهندام .

مضى ينظر إلينا فى شبه شرود . ويمد صديقي يده الى علبة التبغ  
الموضوعة أمامه على المائدة ، ويسحب منها لفافة يقدمها له ، ثم يشعلها له  
قائلا فى مودة وعطف :

— كيف حالك يا نورا ؟ تعال اجلس وتناول معنا أى شىء . لكن الفتى  
يظل منتصباً مكانه لا يبرحه ، يدخن لفافته فى نشوة ظاهرة . ويرفع يده  
ويضعها على صدره شاكرا . ويتابع سيره ، وعلى ثغره ترف ابتسامة هادئة ،  
معتدل القامة ، ثابت الخطوات ، وأمضى اتبعه بنظري الى أن يتوارى خلف احد  
المنعطفات .

وأنتبه على صوت صديقي وهو يردد فى إشفاق :

— مسكين نور الدين . لقد كان زين شباب الواحة كلها .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ويسود الصمت لحظة ، ثم يلتفت إلي ويقول :

— كاني بك ترغب فى معرفة حكايته ؟...

قلت فى فضول :

— أرجو أن تفعل .

تنهد ثم قال :

— كنا نقيم بنفس الحي . وجمعنا نفس الكتاب أين تعلمنا القراءة والكتابة ،  
وانهينا حفظ القرآن الكريم . لم تكن توجد لدينا مدرسة فى ذلك الوقت .

كنا وبعض صبيان الحي نخرج للعب معا كل مساء ، كما كنا نذهب  
للسباحة بالعين عند الظهيرة ساعة اشتداد الحر فى فصل الصيف حيث  
يلازم الكبار البيوت . وتخلو الدروب من المارة . ويصفو لنا الجو .



كان والد نور الدين قد غادر الواحة فى مطلع شبابه وهاجر الى العاصمة. وأقام بها الى أن تقلصت به السن فعاد الى مسقط رأسه . واقرن بأرملة شابة من أسرة طيبة أنجبت له ولده نور الدين الذى لم يقدر له أن يفرح به طويلا اذ لم يلبث أن فارق الحياة ، وهو لم يبلغ بعد عامه الخامس .

وقد كان لاستقرار والد نور الدين بالعاصمة وهو فى مطلع شبابه ولسنوات طويلة بعيدا عن جور الحكم العسكرى وطغيانه - الذى قاسى منه أهالي هذه الربوع طويلا - اثر كبير فى تكوين شخصيته ونحت معالمها فنشأ حرا أيبا مقداما يرفض الظلم والذل والخضوع . وقد تشربت نفسه معاني العزة والكرامة والشرف .

وقد ورث عنه ولده نور الدين هذه الاخلاق والصفات جميعا . وما أن تخطى عتبة الطفولة وشب عن الطوق حتى كان اصطدامه بالقبطان (I) وكانت البداية يوم التقى به وبعض رجاله بسوق البلدة فتجاهله ولم يقم بتحيته . فقبض عليه بسبب ذلك وأودع سجن البرج (2) . ولما عاد القبطان من جولته - أمر باحضاره اليه . وحين مثل بين يديه سأله فى عجرفة :

- لماذا لم تقم بواجب التحية لي ؟..
- لأنني لست عسكريا .
- ألا تعلم أن تحية الحاكم أمر واجب على الجميع عسكريين ومدنيين على حد سواء ؟..
- الذى أعرفه أن التحية برفع اليد على الطريقة العسكرية خاصة بالعسكريين وحدهم دون غيرهم .

(I) القبطان : تحريف لكلمة : ( الكابيتان ) الفرنسية . رتبة عسكرية معروفة والعامية يطلقون هذا الاسم على الحاكم العسكرى مها كانت رتبته . من باب التغليب . وقد كانت مناطق : مطماطة ، وثبلي ، ودوز ومدنين ، وتطاوين ، وزهية ، وبنفردان ترضخ للحكم العسكرى المباشر أمام الاستعمار الفرنسى .

(2) مقر سكنى وقيادة الحاكم العسكرى .

ويدوي صوت القبطان مناديا الباش شاوش (3) الذي جاء مهرولا ووقف أمامه جامدا في انتظار ما يأمر به ، متحاشيا النظر اليه لما كان يبدو عليه من غضب وانفعال ، قد انتفخت منه الاوداج وأحمر وجهه حتى كاد ينضح دما مما جعله يبدو كديك رومي في حالة هياج وتحفز .

ويتقدم من نور السمين ويمضي يهزه في عنف ، وهو يقول من بين أسنانه مخاطبا الباش شاوش :

— عد بهذا الكلب الى السجن ، وضع الاغلال في يديه ورجليه ، ودعهم يجلدونه مائة سوط . وامنعوا عنه الماء والطعام . اليوم وغدا الى أن أرى رأيي فيه .

وبعد شهر من التعذيب والتنكيل اطلقوا سراحه . وهكذا بدأ صراعه مع الحاكم العسكري وزبانيته ، وبدأت متاعبه مع الحياة والناس .

ومنذ ذلك الحين صار موضع تتبع ومراقبة من قبل عيون القبطان ومخبريه في غدوه ورواحه . ومنع من مغادرة الواحة الى أي مكان غير واقع تحت نفوذ القبطان وسيطرته .

وأصبح الناس يتجنبونه ويتحاشون الاختلاط به خشية على أنفسهم من القبطان . لكن ذلك لم يؤثر فيه وأم يفت في عضده ، ولم يزد الا اصرارا على المضي قدما في تمديي القبطان وبطانته رغم ما لاقاه على يديه من بطش وتعذيب .

كم هو فض ذلك الرجل غليظ القلب .

كان يشغل السجناء في مختلف الاعمال . وعلى امتداد كامل ساعات النهار تقريبا . فكان يكلف بعضهم باطعام الحیول وتمشيها وتنظيف مراتبها .

(3) رئيس فرق المخازنية ، الحرس الخاص بالقبطان وعيونه على الاهالي وشرطته فيهم .

ويكلف البعض الآخر برعاية حضائر الدجاج والحمام والبط . فى حين يتفرغ غيرهم لخدمة الحديقة والعناية بها . حتى كلاب الصيد والحراسة هناك من يقوم على خدمتها والاهتمام بأمرها .

كانوا يعملون تحت اشراف بعض اعوان المخزن الذين عليهم أن يحيطوا القبطان علما بسير العمل وبكل ما قد يصدر عن أولئك المساجين من أقوال أو أفعال لا يرضاها . كأن يتلكأ أحدهم فى أداء العمل الذى أوكل اليه القيام به ، ويسبى القول أو التصرف مع أحد الاعوان ، أو أن يرفع صوته بالتذمر والاحتجاج فيرسل فى طلب الشخص المعني ويأمر بتجريدته من قميصه وبوضع القيود فى يديه ورجليه . بعد ذلك يدعوه الى الركوع عند قدميه ليلهب ظهره العاري بسوطه المجدول . وبعد أن يوسمه جلدا وركلا وشتما تهدأ ما فيها من قسوة وفظاعة ووحشية .

والناس فى الواحة يسجنون لأوهى الاسباب وأحقرها بل ودون سبب معلوم فى أكثر الاحيان . ويندر أن يغادر أحدهم سجن البرج دون أن يتعرض للاهانة أو الضرب والتعذيب . وقد يوضع بعضهم فى زنانات انفرادية ويمنع عنهم الطعام والشراب مدة قد تطول أو تقصر تبعا للتهمة المنسوبة اليهم . أو بما يتلاءم وما صدر عنهم من تجاوزات إن قولاً أو عملاً أثناء وجودهم فى الايقاف .

وكان يحلو للحاكم العسكرى كلما شعر بالضيق والملل وأراد الترويح عن نفسه أن يأمر باخراج أولئك المساجين المساكين وتجميعهم بباحة البرج حفاة عراة . ويقف فى غطرسة وعجرفة ويدعوهم الى الاحاطة به على هيئة دائرة . ثم يأمرهم بالسير على أربع وجه الواحد فى مؤخرة الآخر ، مفرقا بسوطه فى الفضاء بين الحين والحين حاثا اياهم على الاسراع وعدم التوقف صاحكا فى هستيريا وجنون معبرا عن مدى انتشائه بذلك المشهد .

وفى بعض الاحيان كان يدعوهم الى العراك واعدا من ينتصر منهم على خصمه - باخلاء سبيله إن كان سبب ايقافه بسيطا ، أو بتخفيف مدة أو نوع العقاب المسلط عليه ، كانت جميع أوامره وقراراته وأفعاله وإن لم



تتنزل منزلة القانون تدعو عموم الاهالى دون استثناء للخضوع اليه خضوعا مطلقا .

وكان فى مقدمة حقوقه عليهم أن يؤدوا له التحية على الطريقة العسكرية كلما لاقوه . وأن يقفوا له متى مر بهم أو توقف عندهم . وألا يتكلموا فى حضرته الا بأذنه .

وكان يمنع عليهم المرور قريبا من محل سكناه ، أو مغادرة المنطقة دون علمه .. كما أن عليهم أن يبلغوا عن كل غريب عن الجهة نزل ضيفا عليهم .

وتمر السنوات طويلة قاسية حزينة . ويتداول حكم الواحة أكثر من « قبطان » .

كانوا جميعهم سواء تقريبا . قد جبلوا من نفس الطينة وشربوا من نفس الوعاء . ومع كل يوم يمر كانت قبضة الاستعمار تشتد أكثر فأكثر حول خناق الشعب . فى نفس الوقت الذى أخذ فيه الوعي الوطنى فى الظهور والانتشار بين مختلف طبقات الشعب التى لم تلبث أن التحمت فى معركة صلبة فى مواجهة الدخلاء مغتصبى الارض والعرض .

فكان التحرر وكانت الثورة . ولم يضمن الشعب بتقديم القرابين والضحايا ثمنا لحرية السليبة .

وكان نور الدين فى مقدمة جموع الشباب الذين رفعوا راية الكفاح والمقاومة وأعلنوها ثورة عارمة فى وجه الغاصب المحتل . وتعرض للسجن والاعتقال أكثر من مرة بسبب ذلك وتجرع من العذاب ألوانا . ورغم كل ما قاساه لم يضعف ولم يستسلم . وظل صامدا ثائرا لا يلين الى أن صدرت الاوامر الى المناضلين بالتوقف عن المقاومة . ودعى الثوار فى الجبال الى تسليم أسلحتهم الى القوات الفرنسية مقابل وصل أمان مسلم من قبل القائد العام للجيش . وذلك تنفيذا لفحوى وروح اتفاقيات الحكم الذاتى المبرمة مع الحكومة الفرنسية .



ويتوقف صديقي عن الكلام ، ويتناول لفافة يشعلها ويعب منها نفساً طويلاً . ثم يعود الى القول :

– لعلك تتساءل كيف كان نور الدين يعيش فى تلك الفترة ؟ ومن أين ؟ وحقيقة الحال أن والده ترك له ضيعة صغيرة أعطاها من جهده وعرقه فلم تبخل عليه بفيضها فعاش منها مستور الحال فى غير سعة أو املاق . ولم يترك العمل بها الا بعد أن أصابه ما أصابه فتعهد أحد أجواره بخدمتها والمحافظة عليها حسب العرف الجارى به العمل .

– ما الذى حل بنور الدين حتى ترك العمل بأرضه وصار الى الحال التى هو عليها الآن ؟

تنهد صديقي فى ألم دفين . وسرح بنظره بعيداً ثم قال :

– حدث ذلك يوم رجوع « الزعيم » من المنفى . سافر نور الدين الى العاصمة مع من سافروا لاستقباله والترحيب به بالميناء ووقف مع الجموع الفقيرة ينتظر وصول الباخرة . وبعد ساعات طويلة مملة من الانتظار لاحت الباخرة للناظرين تتهدى فى عرض البحر رويدا رويدا نحو الساحل .

ويغمر الحماس الجماهير ويعلو فى فضاء الميناء نشيد الثورة . وتلعلع زغاريد النسوة . وتختلط الاصوات فى دوي صاخب رهيب . وترسو الباخرة أخيراً ويظهر « الزعيم » على ظهرها ملوحاً بمنديله الابيض للجماهير التى استخفها الحماس فاندفعت باتجاه الرصيف كالسيل الهادر .

وتطوف بخيال نور الدين صور الماضى الاليم وأحداثه المروعة وذاكرياته الحزينة .. القبطان .. الخوصة (4) .. الباش شاوش . المخازنية . الحبس . السخرة .. الجوع .. العطش .. العري .. القيد والسطو .

---

(4) مترجم الحاكم العسكري ومساعدته . وهو عربي .

وينطلق يعدو وهو يصرخ ويهتف بكل ما أوتي من قوة ودون توقف . حتى جف حلقه وبع صوته . وفجأة لم يشعر الا وصداع حاد يعتصر رأسه ويطحنه . وحمى شديدة تلهب جسده الضامر النحيل ويصهره ..

ودارت به الارض دورة سريعة . وتراقصت الاشياء والمرئيات أمام ناظريه واضطربت وتداخلت ، وسقط مغشيا عليه وقام بعضهم بنقله بعيدا حتى لا تطأه الاقدام .

ولم يفق من غشيته الا فى اليوم التالى .

ومنذ ذلك اليوم أضاع ذاكرته وفقد وعيه وصار على الصورة التى رأيت .

قلت :

– وما أكثر الذين فقدوا وعيهم فى ذلك اليوم . وما تلاه من أيام .

قابس فى 1989/5/22

محمد الخموسي الحناشي

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrir.com>

## طعم الأشياء

روائح الماضي تستفيق في نفسه هذا المساء ، نسمات الايام الحوالي تهب على روحه ، فيتنفس هواءها العذب ملء صدره .

يحدق بكل كيانه في الصور المتدفقة عليه ، ينتعش ، يفتح قلبه ويتنهد .

هل كان الماضي أفضل ؟ لم يكن يعلم ذلك ؟

لم تكن تلك الساعات وتلك الايام تساوي شيئا عندما كان يعيشها .

ماذا تغير ؟ وهل بإمكان الماضي أن يتغير ؟ من أين جاءت هذه الالوان التي لم يعهدها فيه ؟

هذا المساء ، يشعر أن صدره يتغلق على غصنة تريد أن تنطلق ، بين ضلوعه أشياء ذابلة ، لا يدري ما هي ، ولكنها تتعبه بقدر ما يتعبه الحاضر .

يود لو يفتح صدره ليأتى الماضي ويستقر فيه ، ذلك الماضي الذي طالما أتعبته ساعاته يترأى له اليوم زائرا بألوان تحن اليها روحه .

مشاعر غامضة تتوافد عليه في شكل أمواج لا يقدر على مقاومتها . يشعر أنه ضعيف ، قصبة في مهب العواصف ، وأن قلبه قلب عصفور يرتجف تحت رياح هوجاء ، يشعر أنه لعبة بين أصابع الزمن الذي لا يعبأ بضعف مشاعره . وأنه ضائع وغير ايجابي ، ولا يستحق أن يكون موجودا في هذه الدنيا التي تتطلب شيئا من الصلابة لا يملكها مع الاسف .

كثيرا ما تمنى أن يكون أقوى مما هو عليه من جهة المشاعر والاحاسيس ، وأن لا يتأثر بمفعول أبسط الاشياء في حياته . لكن الاحداث تؤكد له في كل مرة أنه رجل مفرط الحساسية تؤثر فيه سلبيا أفقه الاشياء . وأحيانا يجد نفسه حزينا بدون سبب .

وقف أمام لوحاته وخاطبها فى صمته :

- ضمني اليك أيتها الرسومات الحبيبة ! ضمني ، خذيني فى مساحاتك ذات الألوان التى أعطيتها من روحي ومن عمري مساحاتك التى كلما تأملتها أعادت لنفسى احساسا غير مألوف .

ارجعي الساعات التى أنشأتك فيها وما كان يختبئ فى فكري وبين أضلعي لآخذ الفرشاة من جديد ، واقف أمام المساحة البيضاء أصنع أفراح عمرى وأعطى معنى لحياتي وأقول : ما فى صدري ؟ علني استريح .

خذيني اليك ولن أقاوم ، فقد جفت الينابيع ، وأوحشت الروح وضاق الصدر ، ولم يعد ينفعني سواك .

كنت الينبوع الذى أقصده لأروي ظمئي ، وكنت تزرعين أعشاب البهجة فى أيامي .

كل لمسة من الفرشاة كانت نبتة خضراء ندية فى حياتي التى لا عشب فيها سوى عشبك .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أيتها الألوان وأيتها الفرشاة ، اعترف انني لا أساوي شيئا دونك ، وأنت كنت مأوى الروح عندما تهيم باحثة عن شئ مفقود تجهل كنهه . وكم كان الايواء اليك جميلا .

اعذريني على عدم الاعتراف لك بالفضل فى الابان ، فثمة أشياء كثيرة فى الحياة كانت دائما تفسد علي فرحتي بك .

كانت نفسى تتمزق بين أشياء عديدة ، لا تفكري أنك كنت تحتلين مركز الصدارة بين هذه الاهتمامات ، وكنت تنالين النصيب الاوفر من العناية . لكن أشياء الحياة كانت تمنع الافراح عني وتنكد علي مشاعر الغبطة بك .

كانت ظروفى المهنية صعبة ، ولم أعد أطيعها . كان علي أن لا أبقي مكتوف اليدين ، مستسلما للرداءة . وألحت على فكرة تغيير الوضع . تحملت الماراة سنوات ، وجف حلقي ، وصار الصداق مألوفاً بالنسبة لي .



وكننت الشجرة الظليلة فى قيظ حياتي . أقصدك عندما تضنني الساعات ولا أجد من أقصد . كنت أجد لديك ما أطلبه من أسباب الراحة والنعيم . ولكن الاشياء الاخرى تظل تطاردني وتحط أوزارها فى فكري حتى وأنا فى حضرتك فتحرمني من الاستمتاع بك .

أما زلت لم تعرفني الى حد الآن كم أني متعلق بك أيتها الريشة وأيتها الاصباغ التى يا ما مزجتك فأخرجت منك ألوانا تشرق نفسي لمراها .

مضت شهور أيتها الرسومات الحبيبة ولم تمس يداي أى ريشة ، ولم أمزج ألوانا ، وبرغم أنني غيرت الوضع الذى كنت أريده تغييره ، وأنجزت ما وعدت به نفسي فى المهنة ، فان شعورا آخر بدأ يزحف على صدري ويتغلغل فى كياني ، ويملؤني خشية من المستقبل .

أخشى أن تجف الروح ولا أجد ما أعلل به نفسي . أتعذب بهذا الاحساس وأقول فى سري :

ARCHIVE

(لو فقدت أشيائي الجميلة لما بقي لي شيء استمد منه معنى لوجودي) .

رسوماتي هى أهم شيء فى حياتي ، لا أنكر أنني أوليت وضعى المهني اهتماما كبيرا فى وقت ما ولا أزال أواجه الصعوبات من أجل مواصلة تحسينه . لكن مثل هذه الاشياء لا تمس الانسان من الجوهر ، فهى أدوار لا بد منها لنعيش بين الناس بكفاءة عالية . والأهم فى هذه الحياة هى الاشياء ذات الصلة بباطن النفس ، ورسوماتي ، مصدرها اعماق الروح . لذلك مكانتها عندي أرفع من أى شيء آخر .

★ ★ ★

هم بالغوص فى الفراش ليحلم ، ليهيم بفكره فى فضاءات يعشقها خياله ، ليرسم مدينته الفاصلة قبل أن يأخذ النوم .

بهره الضوء المنبثق من لوحة « طبيعة صامتة » وقد امتزج بضوء القنديل الكهربائي فأزالا فكرة النوم من رأسه .

أحس صدره يتسع ويريد معانقة كل الأشياء الجميلة فى الكون .  
اشتاقت أصابعه الى الالوان الطرية ، وتخيل قلبه قطعة قماش بيضاء  
وضع عليها الالوان ويظل يشغل عليها طول العمر دون أن يفرغ منها ، لان  
لذة العمل الفني قبل نهائه .

حدثته نفسه بأن يخرج تحت المطر ويستمتع برائحة الماء وبمنظر المدينة  
المغسولة وشوارعها الخالية .

أخذ الممطرة وغادر البيت ، وقلبه مفتوح لالوان الليل والماء وكل شىء  
جميل فى هذه المدينة المحقورة .

قال : يبدو أن الطبيعة ليست بصدد اللهو .

الامطار غزيرة ، والريح تعصف بجنون فى كل الاتجاهات .

أحب أن يشاكسها . شرع فى مواجهتها بممطرته .

لم يفكر فى العودة الى البيت . لكنه فكر فى الناس الذين يعرفهم جيدا فى  
الارياض التى اشتغل بها . أولئك يستحقون الشفقة فى مثل هذه الليلة ...

الارض بحاجة الى الماء . لقد انتظرت المطر طويلا ، وها هو المطر ينشر  
الامل فى هذه الربوع ، الرسم والمطر شيان جميلان ، أحبهما أكثر من كل  
الأشياء الأخرى . وكلاهما يذكره بالآخر .

عندما كان يأخذ الفرشاة قبل شهور خلت كان المطر ينزل فى أعماقه  
فيروي ظمأ جسمه الى ماء السماء .

الرغبة فى الرسم تكبر هذه الليلة . ورائحة الالوان تأتيه فى كل قطرة  
مطر ومع كل هبة ريح وتستقر فى صدره .

أحس أن الممطرة لا تمنع عنه قطرات المطر التى تلعب بها الرياح ، وأن  
مفاصلها ستنفصم ، فطواها وتابع السير ، يقيه معطفه الاسود الذى بدأ  
يثقل .

القطرات الباردة تسقط على وجهه جارحة . ومع ذلك كان يود أن يضحك تعبيرا عن فرحته بالمطر ، هذا المطر الذى أحبه منذ طفولته المبكرة .

أبوه أيضا كان يحب المطر .

ترى ما حالك الآن تحت التراب المبلل ؟ أخشى أن تشعر بالبرد ولا تجد غطاء .

صورة أبيه تحت التراب المبلل أربكت مشاعره ، تخيله يرتعد بردا ولا أحد يحنو عليه بغطاء صوفي يلتف فيه ليعيد الدفء الى مفاصله .

لعن الشيطان وقال : أنت فى مكانك ذاك أفضل حال من الكثير يا أبى .

هناك من لا يجد الغذاء فى هذه الليلة الممطرة الباردة . وهناك من يسقط كوخه بمفعول الامطار فيبقى وعياله بلا مأوى . تصور حال هؤلاء يا أبى وانعم بهدوئك هناك .

فيضان الوادي أعاد الى فكره صور الماضي البعيد .

تمنى لو يرسم تلك الصور المتدفقة على فكره ، ويرسم أترابه وهو بينهم والجميع يضجون حول الوادي فى قريته الاولى ، ويرتمون فى مائه سابحين فى الاوحال والقاذورات ، وقلوبهم تفيض غبطة وحبورا .

لا يمكن عبور الوادي دون أن يمتليء حذاؤه بالماء .

ثقل عليه المعطف كثيرا . وتسرب الماء الى بقية ملابسه ، وبدأ البرد يغلبه وقطرات المطر تجرحه بشئ من القسوة . ومع ذلك ما زال يريد أن يمتع قلبه ووجدانه بجمال هذه الليلة غير الاعتيادي .

وقف قليلا مترددا . ثم عبر الوادي متوجها نحو وسط المدينة .

فى الطريق فكر فى الدخول الى الحانة القريبة . وبعد أن تجاوز السور الخارجى نحو الداخل عاد أدراجه لانه رأى أن دخوله فى تلك الحالة لا

يليق به . مركزه الاجتماعى لا يسمح له بالدخول مبلا كطائر النوء . ثم ان الشرب قد يستهويه فيمكث طويلا ويشعر بالبرد لان الماء قد بدأ يتسرب عبر الملابس الى جسمه .

تذكر أنه لم يعد كما كان قبل سنوات خلت . كان لا يخشى أن يتسل جسمه بسبب المطر . كان يخرج تحت المطر ولا يعود الا بعد أن يكون قد توقف، وملابسه ملتصقة بجسمه بمفعول الماء .

بدأ يشعر بالبرد .

قرر أن يعود الى البيت .

فكر فى أولئك الذين يعرفهم جيدا من أصحاب الاكواخ التى لا يمكن أن تصمد طويلا .

وتذكر الفيضانات الاخيرة ، ولاحت فى فكره صورة فيضان الوادي قرب الشكنة والاطفال متراصون فى شاحنات الجيش التى سخرت لتعبر بهم الوادي .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

الساقية التى تمر فوقه تهدمت بعد سنوات .

ما زال يذكر كيف كان يصعد اليها دراجته الحمراء مستعينا فى ذلك بأحد الاتراب الذى يصعد قبله فى الساقية ويأخذ الدراجة من عجلتها الامامية بينما يبقى هو فى الاسفل ويرفع الدراجة من العجلة الخلفية الى ان يتوصل رفيقه الى ايصالها داخل الساقية حيث يصعد هو وراءها ، ويمشى بحذر كبير عكس تيار مياه القناة ، يقود دراجته الحمراء التى فرط له فيها أخوه بعد أن صار يملك دراجة نارية ... كان ذلك أفضل لكي يعبر الوادي بسلام عندما تتأخر شاحنة الجيش أو تكتظ كثيرا بالاطفال . كان يفعل ذلك عند الذهاب الى المعهد وفى الاياب منه . وكان يعود جوعان الى البيت ، فتحنو عليه أمه ، وتحضر له طعاما ساخنا يأكله بشهية الفقراء .

فى تلك المناسبات ، كان يشفق على المقيمين بالمعهد لانهم كانوا يقدمون لهم أطعمة رديئة ، وكانوا محرومين من دفء العائلة



كان برغم الفقر يشعر بالنخوة ويعتز بكونه تلميذا خارجيا . لكن الشيء الذى كان ينكد عيشه هو الازدحام الكبير أمام المخازن مما يجعل الحصول على خبزة أمرا عسيرا جدا إن لم يكن مستحيلا . كان يتمنى أن يتناول غداءه أو عشاءه بقطعة من الخبز . لكن ذلك لم يكن ممكنا ، حتى أمه لم يكن بإمكانها اعداد الخبز فى البيت لانه اذا توفر السميد ، فالخطب غير متوفر أو هو مبلول وغير قابل للاشتعال . واذا توفر الخطب والسميد ، « فالطاجين » غير موجود . وأمها أيضا كسولة تكره أن تبذل مجهودات كبيرة من أجل احضار الخبز ، وتكتفى باعداد طعام تطهوه على الموقد النفطي .

لم يعد يتحمل قطرات المطر الجارحة . بدأت الرعدة تملكه . وأحس أنه ضعيف ، وان عليه أن يعود بسرعة ليزيل الملابس التى على جسمه .

رباه لقد بدأت أكبر وأصبحت لا أطيق المطر البارد على جسمي بعد أن كنت أحبه كالرسم تماما ، لقد أخذت الايام والسنوات دمي الاول وعوضته بدم جديد سريع التجمد . سوف أسقط كاللدجاجة لو مكثت ساعة أخرى تحت المطر .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أيتها الالوان الحبيبة التى تتجلى لقلبي برغم ما يحدث لى الآن ! ها أنا أشكوك حالي وأبوح لك بما يحزنني ، فأعيدي لى سنواتى الماضية لأقاوم هذا المطر . وهذا البرد بجسم أقوى وأعشقك أكثر .

صورة أبيه تقف فى طريقه نحو البيت ، مبلل الملابس جاء يبحث عنه .

لقد تغيرت كثيرا يا أبى . وها وجهك الآن أكثر حيوية من ذى قبل .

شيء كالبهجة اضاء اعماقه وهو يتأمل وجه أبيه الذى غادره منذ شهور .

غمره شعور الاكبار المزوج بالشفقة على والده الذى لم يعد سنه يسمح له بالخروج فى ليلة كهذه . تمنى أن يدنيه أبوه منه ويسير بجانبه محتميا من المطر بجناح البرنس . ومهما تبلل هذا الاخير ، فلن يشعر بالبرد ما دام الوالد بقربه ، لكن الوهم تبدد بسرعة ، والمطر والرياح وحدهما ظلا يشكلان فى فضاء الليل مساحات من الحزن .

بحث عن وجه أبيه فلم يجده . وتذكر أن أباه ينام هناك ، وأنه ربما كان  
فى حاجة الى غطاء ليدفىء عظامه المتعبة ، وقال :  
ما أسوأ أن يموت الانسان من شدة البرد .

أسرع السير نحو البيت وهو لا يفكر الا فى تغيير الملابس وتناول طعام  
ساخن . وتسارعت اليه أفكار كثيرة متداخلة .

قال : يجب أن أعتبر نفسي محظوظا لاننى أجد طعاما ولباسا ومسكنا  
واقيا من المطر والبرد فى مثل هذه الليلة القاسية .

وتذكر أباه الذى لا يجد شيئا هناك . وقد يكون محتاجا الى أشياء كثيرة  
ولا يجد من يهتم به . هناك أمر يشغله كثيرا ولم يتوصل بعد الى فهمه . ما  
معنى أن تزول الحياة عن الشخص ؟

وماذا يكمن وراء هذا الانتقال من حالة الى أخرى ؟ وما هى حاجات الانسان  
الذى تغادره الحياة ؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هذه الاسرار يريد أن يفهمها ، ويود أن يعلم شيئا عن حال أبيه هناك وعن  
حاجته . قد تنفعه هذه الاشياء فى فنه الجميل . كثيرا ما حدث نفسه بأن  
ينقطع عن رسم المراثيات ليلج فى رسومه العالم اللامرئى . لم تعد محاكاة  
الواقع تعني شيئا كبيرا بالنسبة له . وصار يميل الى التأمل الباطنى الذى  
يكشف حجب الغيب المجهول .

روائح الماضي تتسلل الى صدره ، الى فكره ، عبر الهواء الذى يتنفسه ،  
تحملها الريح والمطر الى قلبه . يمتلئ بها ، ويرحل فى تفاصيلها ...

فى ليلة ممطرة كهذه ، ما عادت بيوت الطوب تتحمل كميات الامطار الهائلة  
التي جادت بها سماء القرية . قيل إن منازل كثيرة سقطت على ساكنيها . كان  
ذلك منذ قرابة الثلاثين سنة . كان منزلهم من طوب وسقفه من تراب مثل  
معظم المساكن فى القرية . غادروه ولجؤوا عند أحد الجيران .

فى ذلك البيت الذى جدرانہ من الكنتول وسقفہ من الاسمنت المسلح  
أحس بالامن .

يذكر انه مكث واقفا فى غرفة نظيفة جدرانها مستوية شديدة البياض ،  
وزواياها مسطرة بدقة لم يألّفها . ظل يتأمل جدران الغرفة وسقفها ،  
وينتظر .

ترى ماذا كان ينتظر ؟

لم يعد يذكر التفاصيل ، فى رأسه بعض الصور الغائمة عن امرأة طيبة قد  
يكون اسمها « العزوز مباركة » أو « مبروكة » . أكيد أن أمه لا تزال تحتفظ  
باسمها و ببعض الذكريات الطيبة عنها . كان يأنس لتلك المرأة . ووجهها كان  
يبعث فيه الطمأنينة . وكان لا يراها الا مبتسمة ابتسامة قروية ساذجة تنم عن  
طيبة قلب وصفاء سريرة .

فى تلك الليلة - عندما اضطرتهم الامطار التى لم تشأ أن تتوقف الى اللجوء  
عند جيرانهم الطيبين - ظل ينتظر . لا يذكر أنه قام بشئ آخر غير الانتظار  
والتأمل فى الجدران والسقف .

ليلتها كره اللون الاصفر ، لون الطوب الذى لا يقاوم الامطار . وأحب لون  
الكنتول الازرق . تمنى أن يكون لهم بيت من الكنتول يمرح فى غرفه حتى فى  
الليالى الممطرة ، ولا يغادره ليلجأ عند الآخرين احتماء من المطر .

ليلتها ربما كان ينتظر طلوع النهار ليرى وجه القرية ويرى ما آل اليه  
بيتهم .

الاخبار التى التقطها تقول : إن القرية قد تضررت ، ربما كان يريد أن  
يرى بعينه ما جرى بالتحديد . وربما أيضا كان ينتظر شيئا آخر أبعد من  
توقف المطر وطلوع النهار . لعله كان ينسج صورا عن المستقبل . وكيف  
يكون مستقبل من لا ملجأ له فى ليلة قر مثل تلك الليلة ؟

والليلة وجه أبيه يناديه . نداءاته متضرعة تبعث فيه أسى عميقا .  
والألوان التي كانت تتراءى له تتحول الى بركة من الاوحال يغرق فيها  
أبناء بلدته .

يتعاطم الاسى ، ويشفق على الوجوه التي يعرضها جميعا والتي يأخذها  
الطوفان الى حيث تلقى حتفها . يسمع أبناء حارته يستغيثون ، ولا مغيث ،  
يمد يديه اليهم ، لكنهم يبتعدون . المياه المتدفقة من كل جانب تبعدهم عنه ،  
تأخذهم في تيارها العنيف .

يتذكر طفليه وأمهما ، وينظر حواليه . لا شئ غير الماء والليل . والريح  
تلهو عابثة بما ينشأ في صدره من مخاوف .

أبي ! لا تعتب علي . يجب أن أعود الى البيت لأطمئن على الجماعة .

لست أعلم . - يا أبي - ما أنت بحاجة اليه لأحضره اليك . لو أفصحت  
- يا أبي - عن حاجاتك في ليلة كهذه ، لو وصلت بنفسى الى معرفة هذه  
الحاجات لما ترددت في المجئ اليك واحضار ما أستطيع احضاره .

### منور النصري

- فيفري 1090 -

القصرين



## حيث ينمو الرمل لا ينبت الخيزران

ترك الكلمات الهائمة تحاول من الذاكرة الافلات ، ورغبة الضحك محتبسة  
فى احمرار مقلتيه .. لقد ذهبوا ، استسلم لوداعهم .

سكنوا آسيا مغتربين .. واستقرت تصاورهم كالتعاويد معلقة على جدران  
البيت .. لقد ذهبوا ، وانفجرت مرارته أنينا .

قد ينجح بعض الناس فى خلق سعادتهم الخاصة ؛ وترك نظراته تتسكع  
عبر الاطر المذهبة الحواشى ... سيأتى العيد ، وليس عنده ما يضع على جسده  
ليستقبلهم .. أغلب الظن أنه لن ينزل أحد منهم ليقيم عنده .. ولكنهم سيمرون  
به .. ليقدّم لهم أكوام الحلويات .. ويعد الشاي ... وقد يستعيد طبعه الحاتمي  
فيعزمهم على الغداء ..

لا أحد يشبهه ، لقد أكد لنفسه ذلك أكثر من مرة . وفى كل مرة كان يعود  
ليقول لنفسه : انه الاشد حزنا والاكثر هوسا ... كان عليه أن يتحاشى المرأة ،  
وبالرغم من ذلك كان يعود للتنقيب عن الصور الباهتة والضائعة التى ينجح  
فى التقاطها بمهارة قبل أن يغمرها النسيان .. وتتوالى الزفرات والشهقات  
التى لم تعد تجد مكانها بين الظلوع .. سيأتى العيد ، وليس عنده ما يضع على  
جسده ليستقبلهم .. وقد يحضرون فجأة .. وقد يجوز أن يحدث أى شئ ...  
سيحضرون فى حمية وحركة .. انهم بنو أبيه .. ولن ينسوا هذا الارتباط  
مهما حدث أبدا .

عبثت الطمأنينة بقلبه .. واشتدت وطأة الصمت تشخذ خياله .. ورآهم  
متحلقين حوله فى الوقت المناسب ، فاغتنب .

كل شئ جائز حدوثه ، والحياة مثل الحلم غامضة رغم رموزها العارية ..  
سيحضرون ، وقد يتسع الوقت لارتجاف القلوب ، ، فلا شئ أفضل من رائحة  
تصعد من تراب كقدر محتمل .. سيحضرون ، فلا شئ أفضل من ضحكات  
تبث الطمأنينة فى لحظات يجد المرء نفسه فيها يجرى بلا ظل ... لقد ذهبوا ..

وسيعودون فى حالة اداء داكن اللون .. وسيأتى العيد مزقا مشمسة . سينفض الغبار عن لوحات قديمة ويعد أجود طعام .. سينفذ من فوضى الرياضيات فى وقت وجيز ... وسيضحك من كل كلمة أمان تضغط على مخه المتخم بالسلام عليكم ... دس فى العمق أمنيته الوحيدة ، وغرق فى السرير متفائلا . قد يخضر الحلم . وانسدح بصدره العارى واشياء الطفولة العائدة اليه . تمدد .. ان الشيء الوحيد الذى بات يتوق اليه فى ساعات القلق الحرجة هو أن يعانقهم بكل حب .. يعانقهم حتى يدرك أنه عظيم وسط الاسلاك الشائكة ..

منذ شهور لم تعد تصله الخطابات ... أصبحت الامور صعبة بالنسبة لهم . قراءة آخر خطاب فاجأته بالحجل من نفسه ، اشتهى أن تحيط به أساطير الشرق ، وزحفت نحو جدران غرف البيت كتب لسبب لا يعرفه .. وأصبح مزهوا وسعيدا لسبب لا يعرفه أيضا .. وكلما أوغل فى تقليب الاوراق .. يتقلب لونه دفاعا عن وجوده المهدد .. وفكر فى التوقف عن الكتابة اليهم .. ولكنه اندفع يكتب كأنما يغسل ماضيه .

وبقي الحل لديه الانتظار ... انتظار رجوعهم ، فالمسألة تتعلق ببنى أبيه ... كان يدور فى الغرفة حول نفسه ، يتمتم ، ويتابع دورانه .. للحياة فنون فى تعذيب المخلوقات واسعادهم .. انها الحياة بظروفها الصعبة ، هى التى أرغمتهم على مقاطعته كتابيا .. لعل الوقت لم يعد يتسع لتأكل الاحساس .. أو لبعثرة مناجاة .. فالامسيات للشؤون الحادة والمشجعة على النقاش .. والنهار يعدو هاربا .. عاصفا بالروايات ... كان ينبغى أن يكون أحدهم غبيا لكى يتمكن من كتابة خطاب لاه قبل أن تموت غاضبة ...

اجتهد يزعم بأن وراء انقطاعهم تمنع قد يدخل الفرحة الى قلبه الطيب حين يعلم السبب .. غير انه يدرك جيدا سر افتنانهم بالفنادق والطرق التى تعج بالازياء المتنافرة ، والوجوه الناعمة والحادة ، الباسمة والعابسة .. وانه لا بد من الاقتراب والتجانس فى زمن يقوِّع فيه العبث ويعصف .. انه يدرك أنه ليس لديهم مزيد من التمتع فالايقاع مجنون والاعضاء تكره الجمود .. والعيون لا تستطيع أن تقف فى طرقات تضج بالافراح الخاصة ... والكل يجيد فن التحدث والهرولة ... وابرار قواطع الاسنان ... والكل يجيد الفطيط فى النوم . لكن رائحة الاحتراق لا يشمها الا المتيقظ . انه يدرك جيدا سر افتنانهم

بالفنادق ، والشوارع التى تمتد بولائم رائعة .. والعيون فى حذق الافواه  
تتسع .. وتتسع وتتسع ...

دارت الارض ، شرع خياله يترنح . سيأتى العيد ، وليس عنده ما يضع على  
جسده لاستقبالهم ، ولا بما يغطى الارض . قصاصات وأوراق وكتب احتلت  
أكبر جزء من المساحة . وفى الركن استقرت ألواح مبسوطة على هيئة  
سمرير ... وبسبب غرور لغاية فى نفسه بسط جلد خروف ووضع حذاءه  
المترب بالقرب منه .

وانثال عطش الروح ، كلمات مشتتة . وجملا هائلة تجمع الاقاصى ...  
وتلوح شبه ابتسامة مرة ، تزيح أثقال الكلام السخيف ... جاء اليه أحدهم  
مرة بسرور أنيق .. وأكد له مرحا أنه حتما سينبهر بصورته وهو يرتديه ...  
وتداعت الذكريات ...

لا تزال بقايا مذيابهم تنام هاجعة فى الدولاب ... ولا تزال تصاويرهم  
معلقة كالتعاويد تمنع عنه الرحشة .. ولا تزال المائدة تتفجر منها نهايات  
اللقاء . كل شئ عتيق فى بيته ... المزهرية . والحصير الذى تأكلت أطرافه  
وهو مقيم يوازي ويقارن بين حسن اللفة وحسن النديم ، بين الحقائق وعبث  
الرؤيات ... بين مدى استعماله للخطوات ومدى استعمالهم للقفزات ...  
ويضحك كلما يجد جوابا مقنعا لاستفساراته المتنامية .

كل شئ فى بيته عادى وعتيق ... انه يختلف عن عالم الفنادق وبيوت  
الاثرياء ... غير أنه مضياف بهدوئه وألوانه التى تنم عن العراء .. وبلاطه  
مندى بخطوات الشمس البازغة كل صباح .. لقد وجده أحد المعارف جميلا ..  
وزعم أن طراز المباني الحديثة لا يستهويه ... لعله الآن يلهث منطفىء العينين ،  
يلاحق جنونه متخفيا خلف نهايات القصص الحزينة ... هو أيضا رحل ..  
ولا نظير للتعب الذى وسع هالاته حول عيني زوجته المسكينة .. شيئا فشيئا ،  
مضت تخفى رغبتها فى عمقها ... لم تعد تقول له : خذنى معك فى الزيارات  
الخاطفة .. كان كلما يعود ، يفترش جسدها ليلة أو ليلتين ، ثم يرحل كالبرق  
غير آبه بصمتها ... هو أيضا انقطعت أخباره ... فى البدء كان احساس  
الجميع مشتتلا ، ولم يغفل أحد عن القدح او اللوم ، أو الركض . ومد يده !  
برسالة مطوية ، يسلمها الى مسافر جديد ، ويوصيه بأن لا يفشى الكلام .



... فى البدء كانت العيون تشرق بالوجع .. ورويدا رويدا ، انطفأ وهج العيون .. وشرع كل واحد يحقق انفصاله بدخول الى عالم خاص .. لقد حان وقت الالتفاف لفحص الادمغة .. والزمن لا راد له ، والبرامج جاهزة..والازرار فى انتظار لمسة ضاغطة ...

همس لنفسه : ليتنا نموت بلا أحزان كما نولد بلا أحزان .. وبقي وحده يستعر .. ساءه أن يسافر الرجال نحو مملكة تشيع بوجهها عنهم وتأبى أن يحملهم ثراها اذا ما ضيعهم الردى . وظل وحده يسأل عن وعود الزمن المسمى .. عن خيول جامحة تركض بالعشق فوق حطام العاشقين ...

أغلب الرجال رحلوا .. جيرانه أيضا ذهبوا .. واخوته أيضا ، انزلقوا حالمين .. سنون توالى .. والسفن ترحل بفتائل الحظ محترقة ... أى أم ستلد ابنها مرة أخرى ؟! وأى ابن سيستعير وله الاجداد كى يفجر النبع .. سنون مضت .. وقراية الغرباء فى المملكة كسرة خبز ، فتوى تحشى بها الاقواء ، وفى العيون كلام لا يفسح عن مسرة واحدة . سنون مضت والخبز بارد،والقهوة ملوثة بهشيم الاصدااء..كيف استطاع جميعهم أن يلقوا بأنفسهم هشيما وسط أقدار لم تكن أبدا اقدارهم ؟!..

ذات صباح سيحمل قلبه ويسير .. ويسير مهما نأى الجميع .. سيغسل نرف العيون بالقبل ... سيتوكأ على صبره ويشتري لعينيه هفرا .. سيكتب بخيوط الشمس على أجنحة النوارس : ما عاد لنا جرح سوى غيابكم ، فعودوا الى أحبائكم .

دون أن يهجره الحنين ، تشبثت عيناه ككل مرة بالتصاوير . وشرع يمارس لعبة القرب والبعد فى مملكته الصغيرة ، دون صخب ... وحين يتذكر أعوام الحبر الجاثم فوق الاوراق والاسماء تستوقفه الاخطاء ... فلا يرى سببا يؤجل ذر الكلام ... و يرى من هو اعزل من شظايا الماء ... فيذهب فى هياجه يردد الهذيان ....

سيأتى العيد ،، وسيحضرون .. وسينتشى خجلا واثما حتى يصير منفردا، حينذاك ينهض الى أوراقه المهيأة .. ويسيل الحبر ... ليست المملكة خندقا ... ولا كانت جنة ... وينسكب دمه . فيتهدى الى لقب كبر عليه .. ويسعى متوغلا فى الصفات البربارية التى يطمئن اليها .



سيأتي العيد ... سيفتح جثته للتحقيق .. ويغمض عينيه في رياء ...  
 فقبل الموت كان التاريخ بقايا من متاع واخبار لا تحتاج الى من يثق بها ...  
 ويقوم في ذهنه اصرار يجعله يظفر بفتوره ... فيشعر بثقل المتاع ونفيس  
 الدفائن ... ان الدفء الموعود يجيء مع الصوت الرافض ،،، ويشمخ المصير ،  
 حتى يراهم عائدين حفاة من النصب ، عراة من العسجد .. فيحمل عزمه ليسال:  
 ما الوقت الآن؟! ... لحظتها يكون الزمن قد انتصف منغلقا في الطرقات ..  
 وتكون الارض تعدو خارج المدار ملتهبة بالدم والصدید ... لحظتها لن يستطيع  
 التاريخ المنسى أن يوقف الرقصات المحومة ،، ولن يستطيع الحصى المتمد  
 على الطرقات أن يسيطر على تهيئة المشاريع الخاصة بالاطوان التي تضيق ...  
 لحظتها لن يبقى شيء للافواه الصارخة .. سيفزل الوقت حكايات مليئة  
 بالتفاهات .. وغالبا ما يقتنع بمضغها من يمارس لعبة الصامرين ...

انه لا يعرف شيئا عن الحقيقة ، أكثر من امتداد المسافات ،، وامتداد  
 الاحاديث على الطرقات ... والاخبار الوافدة .. وأشكال الضججات ، وأنواع  
 المظاهر التي يشاهدها فتجكم ارتباطه الى الاصوات القديمة المنثالة عليه من  
 درجات الكمال .

وأدرك أن فراق الاحباء ، وبعد المسافات ، لن يثنيا أحدا عن عزم الرحيل ..  
 ولكنه يجهل سر تلك الحمية التي تشتد بشكل خاص ، تحض على السفر من  
 أجل أغراض تحشو ذهنه بالتساؤل المنفعل ...

لمعت عينا أخيه ، وتهدج صوته في لهجة عتاب عاصف :  
 - أي شيء يحققه راتب زهيد ..

وخيل اليه أنه بحاجة الى أن يفتش عن مكان يذهب اليه هو أيضا .. فقد  
 يكفيه أن يخلق هذه الاكذوبة حتى يذبل حزنه مع العلم بأن قدميه لن تطأ  
 أرض مدينة واحدة من تلك المدن التي غاصت في أتربتها قدما السندباد .  
 خمدت الاسئلة وهو يغمض عينيه بجهد غير اعتيادي ...

لقد تعلم المشي بما فيه الكفاية ... فلم تمنحه العفاريث الكنوز التي  
 تحرسها ... ولن تمنحه الاسواق خبزا بلا أحزان .. ولن يتركه أحد يستلقى  
 في فيء شجرة لم يغرسها .

وأحس بالحاجة الأكيدة الى مزيد من عرق يتجاوز به المراحل ليحقق الغايات ...

وضحك بصوت مجلجل حين فاجأته الصغرى بابتسامة حزينة قائلة .  
- لن يسوءنا فراقك ، لو شئت أن ترحل !..

وبدت له الحقيقة مؤلمة .. وحرص على أن يتصور أنه سيظل أبدا هو الأكبر .. ولكن يبدو أن أخته الصغرى قد كبرت في غفلة منه ..

وظل يردد لنفسه : كبرت مثل النبتة المجنونة ، كبرت وهي غضة ملتفة على الظن والوهم ، كبرت والخوف يدعوها للانكسار .. كبرت وهي تخوض غمارات الرياح صامتة ، ، تكنس الماء بشعرها وتنهض ، تمد قامتها في ثثن يصلب عودها ويملؤه بالندى .. كبرت مثل نبتة وحشية في خمائل الحدس والظن .. كبرت مع الايهاب وهي تبدو خاملة ... كبرت من غير ميعاد والحلم يرهقها .. فتشتعل مثل السحاب .

حرص على أن يتصور أنه أكبر منها مهما حدث ، ومهما صدر عنها ، حتى لا يتورع في ابداء أى لمحة عن الغضب الذى يحتدم فى عمقه ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

كان للوقت طعم غامض .. وكان لحس الندم اختلاج يعكر صفو سحنته السمراء .

سيأتى العيد ، وليس عنده ما يضع على جسده لا ستقبالهم ، انه يخشى عليهم تعسف الايام ، ويخشى أن يفتنه الكلام ..

ترك نظراته تتسكع عبر الاطر المذهبة .. واعترف لنفسه بأنه لن يصمد طويلا أمام نظراتهم المستفسرة ، وأمام حججهم غير المقنعة التى قد تزيد فى اثارة الصراخ المكتوم فى أعماقه ..

سيأتى العيد ، وما هو يستعد لاستقبالهم ، سيمرون به كى يعد الشاى ويقدم لهم الحلوى ... لعلهم قد يدخلون الفرحة الى قلبه بشر ثرتهم حين يتحلقون حوله .. سيفتحون كتاب العهود ، ويسجلون صكوك المبيعات ، وهم يهدرون بمقاصد الكلام ... ثم ينهضون معا ، وينصرفون ...

كل شئ جازئ الحدوث ...

أوصاهم بأن لا يغفلوا عن تلك الامور الصغيرة التي تزعج أفكاره قبل أن يرحلوا .

وأوصاهم بأن لا يغفلوا عن الكتابة اليه مهما حدث . وسأه أن تتوقف الرسائل فجأة ، غير أنه ظل يتابع ديبب أخبارهم عله يمزق رتابة الايام الموحشة ، عله يخفض حدة القلق الذي يبيع لعينيه بأن تصبا ماءهما ..

لقد اقتصرت الرسائل الاخيرة على كلمات باردة .. التصق كل حرف منها بأهدابه فاحتدت خشيته عليهم من تعسف الايام ... فهم بنو أبيه مهما تسلطوا أو جاروا ...

انه لا يزال يذكر يوم الرحيل ، اندفع يعانقهم وصوته يتهدج اضطر في اللحظات الاخيرة أن يسرد على مسامعهم رحلة السندباد السابعة ... التي اختلفت في روايتها الناس ... ظل يهذى ويشتر .. يعدد الوصايا ويذكر كل واحد بالتزاماته نحو أخيه ونحو نفسه ... كان يدور ، ويلهث فائض العينين مسلوب اللب .. في حين كان كل واحد منهم يسرع في انتزاع جسده من العناق ، ويهرب بخطوات واثقة حيث يرى الآفاق تتفجر كشمس في رابعة النهار ... ذهبوا ... واستقرت تصاورهم كالتعاويذ معلقة على جدران البيت ... وافترشوا الرمل الذي سهل عليه تركيب الالفاظ ...

جانفى 1990

خيرانة

### منشورات « قصص »

صدرت مجموعة « جمجمة فارغة » .

● تأليف : حمودة الشريف كريم . سعر 30,500

● تخفيض 30 % لمن يشتريها مباشرة من إدارة المجلة .

● تتحمل المجلة نفقة البريد .



دينو بوزاتي (\*)

تعريب : علي ساسي

## الرفضية الشاملة (\*)

فى الجلسة العامة للمتقاعدين طلب الكلمة المدعو «موديستو سفامبا» ، وهو موظف قديم فى التأمين .

«تعلمون جميعا . أصدقائى الاعزاء ، ما يجرى الآن فى العالم . انها ظاهرة غير عادية وجديدة فى التاريخ . من يستطيع ومن يجب أن يكون مثالا لنا نحن أيضا ، رغم أننا فى الواقع ، ومنذ الآن ، أشرفنا على النهاية ، وبالعكس فانه بالتاكيد من أجل هذا ؟»

ارتفعت من بين الحاضرين هممة استفهامية حائرة . كانوا تقريبا خمسة عشر ألفا . «المتداعون» . ما هو نوع «الر...كة» التى سيخرج بها الشيخ سفامبا المتعود على بث البلبلة فى الجلسات السنوية بالمقترحات الأشد غرابة ؟ لكن . لم يقاطعه أحد .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

«الواقع الجديد فى التاريخ هو ، حسب ما يبدو ، الآتى : يكفى عمل يقرره بعض الآلاف من الشبان لاحداث أزمة لحكومة دولة عظمى تعد عشرات وعشرات الملايين من السكان . صحيح أن هؤلاء الشبان يتقدون حيوية ، وأنهم متحمسون ، لكنهم أيضا مجردون من كل سلاح .

المسألة كلها تكمن فى الارادة الجماعية والتمسك الثابت بالنوايا . ستقولون : الشرطة ، السلطة الادارية ، قوات النظام ، انكم رأيتم ولاحظتم ضعفها وقلة

(\*) الرفضية الشاملة قصة قصيرة لدينو بوزاتي مأخوذة من مجموعة القصص «الليالى الصعبة» .

(\*\*) دينو بوزاتي هو كاتب ايطالى ولد ببيلونو سنة 1906 وتوفي بميلانو سنة 1972 .

من اهم اعماله : صحراء التتر - حب - حلم الدرج - الليالى الصعبة .



فاعليتها . رجال الدولة الاكثر تسلطا ، والاكثر غطرسة «عملوها» فى سراويلهم ، أرجو المذرة عن هذا التعبير الفج ، وهم يواجهون هذه الموجة من الشباب الاعزل الذى لا يملك دبابات ولا طائرات ولا قنابل ولا حتى مطواة .

واصل سفامبا فى حدة ، دون أن يعطى فرصة التعليق لاي كان : «ماذا يريد هؤلاء الصبية ؟ ماذا يريدون ؟ ماذا يمثلون ؟ ان رايتهم لشديدة الوضوح : رفضية شاملة . يريدون تقويض كل ما يمثل اليوم هياكل المجتمع - التى قد تكون متعفنة - . كما يسعون الى احوال الطبقيّة والظلم والكذب وعلاقات الشغل غير الانسانية ، والامتيازات وعبودية الانسان المدمج كما يقولون فى عالم آلي ، ظالم ، مسود ، تسيطة عليه عمد وسوار مغبرة وعتيقة ، انهم سينجحون فى مسعاهم ، كونوا متأكدين من أنهم سينجحون .

بأية وسائل يمكن ايقافهم ؟ قولوا لى .»

توقف يستجمع أنفاسه فساد صمت غريب . كانوا جميعا يرمقونه مشدوهين .

ثم واصل : «لكنهم صغار ! ومع كل نواياهم الطيبة فانهم لا يستطيعون الحياة . نحن ، بالعكس ، وللأسف ، نعرفها . هم يحاربون من أجل مثل أعلى ، ربما جنونى وغامض لكنه ساحر جذاب .

السؤال الذى أطرحه على نفسى هو : هل ان رفضيتهم كلية حقا ؟ لماذا اذن ، وهم يمتلكون قوة ضاربة لا تقاوم ، لا يواجهونها ضد أكبر وأخطر حكم ينقل كاهل البشرية ويهددها ؟ ما هذه الرفضية التى تترك المجال فسيحا لافزع مظلمة ؟ لماذا لا يضعون الموت فى صدارة كل هذا الرفض ؟

الامر يهم فعلا فوارق اجتماعية وعبودية شعب ، واصلاحات جامعية ! كل هذا لا شئ . الموت . هذه هى المصيبة التى تهدد تاريخ الانسان منذ قرون وقرون !» .

سمعت هنا وهناك بعض الضحكات الخفيفة بل سمعت تصفيرة . كل الآخرين سكتوا . كانوا معلقين بشفاه سفامبا الذى أضاف قائلا : «لكن ، هل باستطاعتنا الادعاء بأن هؤلاء المرد ، الرائعين اذا أردتم ، لكن الجاهلين وعديمي

الخبرة بكل تأكيد ، يتبنون هذه السلطة العليا ؟ هل بإمكاننا الاعتقاد بأنهم قادرون على رفض وقلب أتعس قانون حكم العالم الى حد الآن بكل قسوة وتصلب ؟

« آه . يا أصدقائي الاعزاء . هل تدركون أهمية الفرصة الخارقة المتاحة لنا نحن الاجداد وآباء الاجداد بما أننا بعد أحياء وأسياد أنفسنا ؟ تكفى اشارة مثالية وستلتحق بنا ملايين المخلوقات الواقفة على باب الفناء .

هل تدركون أنه بإمكاننا تغيير مجرى التاريخ تغييرا جذريا ؟ احتلال ! احتلال ! احتلال المستشفيات ! احتلال المقابر ! لنسد الطريق أخيرا ، ولاول مرة ، فى وجه الموت !»

خرجت المسيرة من مسرح «ماثنوم» ، مقر الاجتماع ، حوالى الساعة السابعة مساء . كانوا يمشون بخطوات بطيئة لكن ثابتة ، فى نظام تام ، هادئين ، متلاصقين . وبطريقة ما غريبة وسرية ، برزت من السيل الآدمى الزاحف لوحات ولافتات : «ضيقنا ذريعا بالموت . تحيا الرفضية الشاملة الحقيقية . لنطرد السيد الملعون الى الأبد !»

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وصل صحفيون ومصورون ووصل مخبرو التلفزة بشاحناتهم الصغيرة الزرقاء . وانتشر الخبر سريعا داخل الوطن وخارجه .

كان الطقس جميلا ، من حسن الحظ . كون «المتداعون» سلسلة متماسكة . الحراس حول المستشفى المركزى . لم يكن معهم سكاكين ولا مسدسات ولا رشاشات ، بعضهم فقط كانوا يمسكون عصيا . أوقدت نيران ، مؤلف موسيقى حقيقى ارتجل نشيدا رائعا . كانت اللازمة تقول : «سيتغير مصيرنا ، سيتغير الموت ، سننتخلص منه !» عازف على آلة القيتارة ممن كانوا أيام المجد يعملون فى فرقة وجاك هلمتن» ، كيفها وجعلها على ايقاع «الشايك» .

وهبط الليل على جنون الشيوخ الذين كانوا يرقصون باندفاع لا يصدق .

حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف وصل «السيد المرعب» عن طريق الجو ، بسرعة الفكرة ، قادما من سمرقند .

كان عليه فى تلك الليلة أن يقبض عشرين روحا فى المستشفى . وكان بطبيعة الحال متنكرا فى هيئة طبيب يرتدى ثيابا متواضعة لكن مع شىء من التميز

حاول الدخول من الباب الرئيسى . ولسوء حظه كان ذلك هو المكان الذى يوجد به سفامبا الذى عرفه من النظرة الاولى ، وطرده سىء الحظ يلاحقه سيل من الشتائم .

فى القاعات بهت الاطباء والمرضات . فقد كانوا ينتظرون بين لحظة وأخرى موت أحد المحتضرين ليناموا . واذا بهم يرون المريض ينهض ويتكى على مخداته بحيوية غير معقولة ، ويطلب طبقا من «الفيتوتشينى» بالثوم . موت أكيد سريريا يثور متحولا الى شفاء صاعق !

أما الموت ، الذى اختفى فى حضيرة قريبة ، فقد كان يقلب بعصبية أوراق مفكرته مراقبا التزاماته العديدة لتلك الليلة . ما العمل ؟ كان يعرف أنه لا شعبى وغير محبوب .

الالتجاء للقوة ضد هذا السد من الشيوخ ؟ أنه لا ينقص الا هذا لكى يتحول الى موضع حقد لا حدود له . وسط مقت مثل هذا ستكون الحياة بالنسبة اليه مستحيلة . ولما وازن بين الايجابيات والسلبيات ، انصرف ليجمع غنائمه الليلية فى مكان آخر ، فالعمل لم يكن بالطبع ينقصه ولا يمكن أن ينقصه أبدا .

مع التقدم العصرى للمواصلات ، فانه لم يلزم الا وقت قصير حتى كانت كل البلاد على علم بما يجرى . شخصيات رفيعة المستوى ، لا يليق ذكر أسمائها، أطلقت فى الهاوء تصريحات تهان ، محاولة كسب بعض المنافع الشخصية من هذا الانتصار الساحق . بدأ الناس يرفعون رؤوسهم وانتهى الحكم الازلى على الانسان .

غير ان انتشار الخبر جعل الطلبة الرافضين يدعون فورا الى عقد اجتماع عام فى المدرج الكبير بالجامعة . لم تكن غيرة مهنية هى التى دفعتهم للتحرك وانما هو وهم له ما يبرره . فلو أن هؤلاء الشيوخ الملعونين أوقفوا عمل الموت لما مات بعد ذلك شيخ واحد . سيأخذ عدد السكان حجما مخيفا وستصبح تغذيتهم مستحيلة



لا فقط بالوسائل المتوفرة حاليا ولكن كذلك بالوسائل التي سيحصلون عليها ، هم الطلبة الشبان ، عن طريق الرفضية الشاملة .

كان لا بد من التحرك السريع .

ها هو اذن موكب رهيب عنيف ينطلق من الجامعة نحو المستشفى المركزى . هناك تواجه الفريقان: الشيوخ فى صف حول الملجأ، والشبان متجمعون قبالتهم على بعد حوالى خمسين مترا .

بدأت تتطاير فى الفضاء شتائم عنيفة . «أيها المتزمتون ، الى الحفرة ! ايها المتعنفون ! يا أعداء الشعب العامل .

كان سفامبا تائها هنا وهناك محاولا اعطاء شحنة من الشجاعة لرفاقه الحائرين . لكنه ، هو أيضا ، كان شاحبا . أحس فجأة بأنه متعب خائر العزيمة .

وبرغبة ممزقة وشئ من الحسد كان ينظر الى الاشخاص الذين يواجهونه : سيئين ، أشداء ، مهملى الهندام ، جشعين ، ملتجئين ، غلاظ . لكن ، كم هم شبان بشكل فاضح !

من على صواب ؟

فى تلك اللحظة ، وراء صف الطلبة ، رآه ، هو ، الشائن ، وقد عاد عن طريق الجو من «أرض النار» ، يطوف باحثا عن ممر .

« ايهي ، ايهي ... سيدى ! » صاح فيه بما تبقى لديه من صوت .

التفت «السيد» . وتقدم هو تاركا ذويه . فتح لنفسه طريقا بين الطلبة المشدوهين . مر الى الجهة الاخرى ، والتحق به . قال له وهو يمسكه من يده ويبتسم ابتسامة مرة ورائعة : «هيا يا «كونت» ، ها أنذا ، أرجوك ، خذنى بعيدا جدا» .

علي ساسي



## طريد العيون الزرق

- ما حكايتك مع العيون الزرق ؟

لم تنتظر إجابة مني ، وإنما راحت - كطالبة مستعدة للامتحان - تبحث في مراجعها، التي هي اشعاري المعبرة في صحف ومجلات ودواوين صغيرة صدرت لي . واستشهدت بأبيات غزل في هاتيك العيون . الدهشة اعترتني . وخيل إلي أنني موضوع في قفص اتهام . انبريت مدافعا ، فقلت بلغة منطق عرجاء :

ستجدين أشعار غزل في العيون الأخرى .

اتسعت ابتسامتها وأطلقت للضحك المرح سبيلا للترويح . فما أرادت إلا التفكه ووخز الابرّة الخفيف . قالت الشقية :

- لم تصف ، يا شاعر الحسناوات ، سوى العيون الزرق .

أسكتني ردها . فأنما ممن يقرضون الشعر ولا يحفظون منه شيئا . وكان علي أن أعيد قراءة أشعاري ، حتى أؤكد رأيي . أما رباب فتذكر شعري جيدا، بل تكاد تحفظه . وردتني - انصافا لي - إلى أبيات تغزلت فيها بالعيون ، ولم أتعرض للونها ، وقالت متشككة :

- ربما .. هذه .. عيون أخرى .

وتهت في ذكريات بعيدة ، حفرها الوجدان بداخلي . رجعت إلى السوراء سنوات وسنوات ، حينما كنت في العشرين طالبا بالجامعة ، وأسرتني زميلة بلغت من الحسن آية من آيات الخالق . وكانت عيناها زرقاوين . أسرتني الغموض الكامن وراءهما . كلما رنوت اليهما - وأنا أحدث صاحبتهم - أضعف فأصمت أو يخفت صوتي . ذلك أنني أبحرت في اللغز المحير . أحسست أنني أبعد مسافات بعيدة . وبدأت قرض الشعر رغم أنني أدرس

بكلية العلوم ، نظريات علمية جافة وتجارب معملية . تحاشيت مواجهة فاتن .  
وان حادثتها ، أتجنب النظر الى عينيها . كانت فاتن فتاة عادية ، ولا تجمل  
عينيها أو وجهها بأي من مساحيق التجميل . وعكس بياض الوجه مع زرقة  
العينين ، هذه الصورة التي لم يبدعها فنان . ذات مرة ، تجرأت وقلت لها :

- عيناك .. مدهشتان ..

رنت إلي بابتسامة حلوة .

أفاقتني رباب من ذكرياتي وشرودي بقدر شاي وابتسامة انتقلت من  
شفتيها الى وجنتيها ، فشابهما احمرار خفيف . قلت لها :

- كان بشار بن برد أعمى ، ولكن العيون هي الشيء الحاد الذي جذبه الى  
بنات ونساء عصره !.

رباب تحاول استقراء ما يرتسم على ملامحي ..

- لكنه قال الشعر في كل العيون ، دون تمييز !

- كان من المفروض أن أول ما يستهويه في المرأة صوتها .. أهو التحدي؟.

- هل تقصد أن أجمل الشعر أكذبه ؟.

- يعني ..

- تقصد أنك لم تصادف صاحبة العينين الزرقاوين ؟.

تهت في ذكريات أخرى ، حين أوفدت في بعثة الى روسيا ، والتقيت بفتاة  
تدعى مارينا . أعجبنني هدوؤها وصمتها . التقيت بها في حفل تعارف .  
جالستها وأخذت أتملى في عينيها ، وقلت كلاما كثيرا عن سر كامن فيهما :  
هل أفصح السر يا فتاتي؟.. وكانت مارينا بحديثي معجبة . قالت مندهشة :

- لم أسمع هذا الكلام من قبل .

تعددت لقاءاتنا . لم أقترب من جسدها ، واقتصرت على قبلات سريعة ،  
فعجبت زملاء البعثة من غرامي الافلاطوني . كلما نظرت الى عيني مارينا ،  
ابحر في بحار بلا شواطئ ، وأرتقي سماوات مرقاء صافية خلابة . وكانت

مدة البعثة لا تتعدى الشهور الاربعة ، وعدت الى صر محملا بأشواق صفتها  
قصائد حلوة عن حب العيون .

أفاقتني من حالة التوهان ..

- اقتررب عيد ميلادك . كل سنة وأنت طيب .

وصمتت تفكر ، ثم سألت :

- هل تشير علي بالهدية التي تريدها ؟

- لا داعي .

- الار سهل .. لن أحتار ككل سنة ... سأهديك ربطة عنق زرقاء  
وقميصا أزرق !

- الشكر لك على كل حال .

سألتني أيضا :

- هل تذكر واحدة من عائلتك ، كانت عيناها زرقاوين ؟

- لا .. اطلاقا ..

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وسرحت قليلا ، لا فى عيون بنات العائلة ، وانما فى عيني علياء جارتني ،  
حين كنت طالبا بالثانوي . تعقلت بها .. أقطف كل يوم وردة حمراء من  
شجرة ورد بحديقة المنزل وأهديها إياها ، فأنعم بكلمة شكر لطيفة . كما  
كنت أقتفي أثرها كل صباح ، حتى تدخل باب المدرسة ، ثم أتجه الى  
مدرستي . وفى العودة ، أخرج مهرولا ، قاصدا مدرستها ، وأتعبها حتى باب  
منزلها . وكنت أحدثها - أحيانا - عن الصدفة العجيبة التي تجعلنا نتقابل ،  
فتضحك وهي تغمز لي بعينيها اللتين كانتا أيضا .. زرقاوين ..

داعبت أناملها سواف شعري قائلة :

- لماذا لم تتزوج واحدة منهم ؟

قلت متحاشيا النظر اليها ، ومثبتا نظراتي فى الارض :

- تقصدين من ؟

استغفري صمتها ..

- اتقصدين فاتن ، أم مارينا ، أم علياء ؟  
- ما شاء الله .. وتدعي أن بشارا أطربه حديث العيون . لقد كان الشعر  
عندك أجمله أصدقه .

نفرت من جانبي محتدة :

- يبدو أنك تزوجتني ، لمجرد شغل فراغ ما .  
- أنت تعلمين كيف تزوجنا .  
- كنت بشعرك معجبة . واطببت على حضور ندواتك . وأجريت معك  
حوارا نشرته بالصحيفة . كان اعجابا من جانب واحد فقط . وهذه  
حماقة مني .

ابتسمت ، محاولا تهدئتها ، ومحللا دوافع قول الشعر . وحكيت عن  
زرقاوات العيون فاتن ومارينا وعلياء وغيرهن اللاتي تذكرتهن ، هل يحفر  
الغموض شيئا في اللاوعي ، فيدفعني الى الشعر ؟ . طرحت سؤالي  
فاستنكرته ..

- لا تحاول التفلسف ، <http://Archivebeta.Sakhril.com>

ونفضت مسرعة الى المكتبة ، وأحضرت شريط فيديو قائلة :

- هذا الفيلم ، سجلته أنت بنفسك .

- وماذا في ذلك ؟

- لأول مرة تهتم بالتلفزيون ، ولأول مرة - أيضا . تسجل فيلما . كل  
الشرائط التي أمامك اشتريتها بنفسي أو سجلتها أنا ، ولم تتدخل أنت في  
شيء .. سوى هذه المرة .. وهذا ما لفت نظري .

- قد تكون البداية لتسجيل أفلام أخرى ؟

- لا يا أستاذ . أتدري السبب ؟

ولم تنتظر اجابة مني ..

- السبب أن عيني البطلة زرقاوان . لا تتفلسف . أضف اسم هذه الممثلة  
الى حبيباتك ..



صمت . تعودت أن أواجه سورة غضبها بالصمت. هذا أفضل . استطردت  
تعدد أفضالها علي ..

- حتى ندواتك ، يا شاعر يا عظيم ، لم تحفل بتسجيلها حينما يذيعها  
التلفزيون . واهتممت أنا بها . فوقتك وزعته بين القراءة والكتابة . لقد  
دفعني اعجابي بشعرك الى جمع كل ما كتب عنك فى ملف خاص .

وسرحت فى حبيباتي ، كما تسميهن زوجتي ، إنهن طليقات فى الدنيا ،  
مثل حمام تطير فى السماء الواسعة .

وهذا الفيلم ، يبدو أن عيني الممثلة كانتا سببا . بدأت أقتنع بمنطقها .  
لكني حين قمت بتسجيله كنت أعمد الى التغيير . لا داعي لتوضيح ذلك .  
ستعتبر كلامي مجرد تبرير .

قد نتصرف دون أن ندرك السبب الحقيقي لما نفعل ؟ لماذا أنكر هذا الشيء  
المثير فى زرقة العيون ؟ لماذا أنكر أن تركيز المصور على عيني الممثلة قد  
جعلني أتوه فى هاتيك النظرات ؟ وهذه ثاني مرة أشاهد فيها الفيلم .

اقتربت منها ، وربتت يدي على كتفها ، ونوت الى عينيها .

- عيناك نجلاوان .

- الله يجبر خاطرك .

ابتسمت . رنوت أكثر الى عينيها الكحيلتين ، متعمدا كسر الحاجز الوهمي  
بيني وبينها طبعته قبلو خفيفة على شففتها ، فزال عنها هم كثير . عرفت  
ذلك حين ابتسمت لي ، وقالت فى فرح :

- أتوقع أن تكون عينا الوليد المنتظر .. زرقاوين ..

- يا عالم ..

وتحسست بكفي بطنها المتكورة ، وأدمت النظر الى عينيها .. العسليتين ..  
ويحي !.. ويا طول اغترابي !..

كيف لم أهتم من قبل الى لون عينيها ؟؟

حسني سيد لبيب

الكاتب الأرجنتيني : خورخي لويس بورخس

ترجمة : أبو بكر العيادي

## الميت

قد يبدو مستحيلا للوهلة الاولى أن يخوض رجل فى الغابات الممتدة على طول الحدود البرازيلية الأرجنتينية ثم يصبح زعيما لعصابات التهريب وهو لا يملك سوى شجاعته .

وسأروى لمن يرى هذا الرأى حكاية بنجامين أو تالورا الذى لم يبق منه غير ذكرى سحيقة الغور فى منطقة « بالغنبرا » اذ هلك وفقا لنفس القانون الذى سنه وعاش بمقتضاه وأخر صحريها تحت طلق الرصاص على حدود « ربوغراندي » . ولا أدري مقامراته بالتفصيل وأن اطلعت عليها فأننى سأبسط هذه الصفحات ، أما الآن فنكتفى بهذا الملخص .

كان بنجامين أو تالورا سنة 1891 فى التاسعة عشرة من عمره له حاجبان منخفضان وعينان براقتان بدون توهج وقوة أبناء الباسك وحيويتهم .

كانت السكين التى ألقيت ذات مرة هى التى أيقظت فيه شجاعته وصار لا يأبه للموت . ولا يفقد رباطة جأشه أو تراوده فكرة الهرب من الأرجنتين حيث ظل حتى أعطاه كبير الاساقفة رسالة ليسلمها لشخص يدعى « ان يميديو بنديرا » فى الاورغواى . ومن الغد كان يتجول فى شوارع منتفديو مهموما ولكنه لا يقر بذلك أو لم يكن يجد له وقتا .

لم يلتق بـ « آن يميديو بنديرا » ولما انتصف الليل شهد شجارا فى مسبح بجوار « باسودل مولينو » بين عدد من الرعاة وشاهد سكيئا تلعب فى الظلام لم يتبين الظالم من المظلوم ولكن الخطر اجتذبه كما يجتذب الناس لعب الورق أو سماع الموسيقى . رماها أحد العمال نحو رجل يرتدى قبعة داكنة اللون

وعبأة مكسينية . كان ذلك الرجل هو آن يفيدو بنديرا وما ان عرفه أوتالورا حتى ناوله الرسالة .

كان بنديرا رغم الظلام الحال ك يثير فى الناظر انطبعا خاطئا بأنه مشوه الوجه كان مرفوقا بيهودى وزنجى وهندى فى وجهه تلمح القرد والنمر وندبة عميقة تشق كامل الوجه ، كانت مع شاربه الاسود أجمل ما فى وجهه .

انتهى الشجار الذى كانت آثاره سببا فيه بنفس السرعة التى شرب بها وتبادل أوتالورا الانخاب مع الرعاة ورافقهم الى حفلة ثم الى بيت بالمدينة القديمة .

نشر الرجال عدتهم فى الجزء الترابى من الفناء وناموا عليها وراح أوتالورا يقارن تلك الليلة بسابقتها ووجد أنه يطاء الأرض بقدم ثابتة بين مجموعة من الاصدقاء ، وان كان ممتعضا قليلا لأنه لا يحس بالحنين الى بيونس آيرس .

أخذ الى النوم . وعند الفجر أيقظه القروى الذى تشاجر مع بنديرا تحت تأثير السكر ( تذكر أوتالورا أن هذا الرجل شارك الآخرين فى التمتع بالسهرة الصاخبة وتذكر أيضا أن بنديرا قرب منه وأجلسه على يمينه وحرصه على الشرب ) .

أخبره الرجل أن الرئيس أرسل فى طلبه . كان آن يفيدو فى انتظاره . مرفوقا بامرأة فاتنة حمراء الشعر . أطرى عليه بنديرا وقدم له علبة « براندي » وأضاف أن جسارة أوتالورا تبهره واقترح أن يصطحبه الى الشمال مع بقية الرجال ليجلبوا قطيعا آخر ؟ فقبل أوتالورا العرض . وقبل الفجر انطلقوا الى طريق « تاكرويمبو » .

كان أوتالورا قد بدأ حياة جديدة تنضح منها رائحة الجياد . ورغم قسوتها وحدائه عهده بها فقد التصق بها ( لاننا نحن الارجنطينيين - حتى ممن يضع بين أيديكم هذه الرموز - نحب السهول المترامية البكر التى تضطرم تحت وقع سنابك الحيل كما يحب غيرنا من الامم الاخرى البحر فيحبونه اجلالا وتعظيما .



تدرب أوتالورا فى ناحية بعيدة من المدينة حيث يسكن السائقون والحوذيون وأصحاب العربات المتداعية . وقبل أن يتم عامه الاول أصبح من أمهر رعاة البقر اذ تعلم كيف يحفظ توازنه على ظهور الخيل ، وكيف يرعى القطيع فى الضيقة الكبيرة، وكيف يذبح، وكيف يغالب النزم ويطرد الوهن ، وكيف يتحمل العواصف العاتية والبرد القارس والشمس المحرقة ، وكيف يقتاد القطيع بالصفير والنداء .

طوال فترة التدريب هذه لم ير أن يفيدو الا مرة واحدة ، ولكنه كان حاضرا دائما فى ذهنه . فأن يكون من رجال بنديرا كفيل وحده بأن يجعله مهابا من رعاة البقر الذين سيكبرونه اذ لم يكن ثمة مجال للرجولة والشجاعة لم يتفوق فيه بنديرا تفوقا ملحوظا .

قال أحدهم : إن بنديرا ولد فى الجانب الآخر من « كوريام » (ريوغراندى) وهو أمر كان من المفروض أن يقلل من شأنه ، ولكنه أضاف بعدا آخر الى شخصيته وكرسه على نحو مبهم وخفي فى الغابات الكثيفة المترامية التى تعج بالزواحف والحشرات .

وسرعان ما اكتشف أوتالورا أن نشاطات بنديرا تتنوع بقدر تعددها ، وأن كان التهريب أحدها فحز فى نفسه أن ينتمى الى الرعاة لان ذلك معناه أنه خادم . ولذلك قرر أن يكون من المهربين .

ذات ليلة كان على اثنين من رفاقه أن يجتازا الحدود ليجلبا «البراندى» المقلب فتصنع « أوتالورا » شجارا مع أحدهما وجرحه ثم احتل مكانه . كان مدفوعا بطموح جارف واحساس مبهم بالولاء . ( قال فى نفسه : لا بد لهذا الرجل أن يدرك أننى أفضل من أتباعه الهندو - أوروبيين ) .

مضت سنة قبل أن يعود أوتالورا الى منتيفيدو . سار مع بعض رفاقه على ضفاف النهر حول المدينة وهو مندهش بضخامتها . وعندما بلغوا بيت الرئيس افترشوا أعطيتهم فى أقصى الفناء .

ومرت الايام دون أن يظهر بنديرا . كانوا يقولون فى فزع شديد : انه مريض فتولى أحدهم خدمته وصار يحمل الى السيد قدر الحساء وقده الشاى الى مكانه المخصص .



وذات مساء عهد الى أوتالورا القيام بهذه المهمة فانتابه احساس غامض بالذل ، دلف الى غرفة النوم فالفها مظلمة متداعية بها شرفة تطل على الغرب وبها منضدة طويلة عليها السياط التي يقتادون بها الخيول . وأبصر بندقية وأحزمة خراطيش وبعض الاسلحة وسكاكين متناثرة ، وفي زاوية من الغرفة مرآة داكنة الزجاج .

كان بنديرا مستلقيا على ظهره يثن ويتأوه ، وقد تركزت فوقه حزمة من أشعة الشمس . كان السرير الكبير الابيض يبدو كأنه يقلل من حجمه ويضفي عليه مسحة من الغموض . رأى أوتالورا شعيرات رمادية كما لاحظ الارهاق وآثار السنين بادية على وجهه . فاعتراه امتعاض . كيف ينقادون لرجل أشيب كهذا . خطر له أن ضربة واحدة كفيلة بالقضاء عليه . ولم يكذب يبلغ هذا الحد من التفكير حتى رأى من خلال المرآة شخصا آخر فى الغرفة . كانت المرأة ذات الشعر المحمر حافية القدمين تنظر اليه ببرود .

نهض بنديرا وداعب ضفائر المرأة وخللها بأصابعه برهة ثم أوما أوتالورا بالانصراف ، بعد أيام قليلة صدر الامر بالتوجه نحو الشمال فانطلقوا الى منزل ناء بقلب الريف ليست له أية خاصية من خاصيات الجهة اذ كان بالامكان أن يقوم فى أى جزء من ذلك السهل المترامى الاطراف الذى لا تظلمه الاشجار ولا تتخلله الغدران وتضيئه الشمس مشرقا ومغربا . قد تضر الضيعة ببعض المقاطع الحجرية الا أن هذا المكان البائس كله كان مقوصا .

علم أوتالورا من نقاش دار بين عمال المزرعة وخدمها أن بنديرا سيعود قريبا من منتفيديو وحين استطلع السبب أخبروه أن ثمة راعيا أجنبيا اتخذ صفة السلالة الهندو - أوربية يحاول الاستيلاء على عرش بنديرا . قدر أوتالورا أنهم يمزحون . ولكنه أحس من الزهو فقد أصبح الآن ممكنا أن يتندر ارء بنكتة خطيرة كهذه ولما علم أن بنديرا حالفه أحد الزعماء السياسيين ثم تخلى عنه سر بهذا الخبر وابتهج له .

كانت صناديق الاسلحة قد بدأت تصل ثم عقبها جرة فضية ومشرب وستائر مخملية لماعة .

و ذات صباح باكر برز من الجبال فارس كثر اللحية على رأسه قبعة كبيرة موثوقة الى العباءة التى كان يتلفع بها . كان يدعى السانبو سوارير وهو المكلف بحراسة ان يفيدو بنديرا . كان لا يتكلم كثيرا وان فعل بدت فى لهجته نبرة برازيلية . لم يدر أوتالورا كيف يفسر هذا الانطواء . هل هو احتقار أم مجرد سوء تربية الا أنه كان يعلم أنه فى حاجة لكسب وده اذا أراد للحظة التى تراود ذهنه أن تنجح .

ثم أقبل فرس أحمر ذو بقع سوداء كان ان يفيدو قد جلبه من الجنوب فأعجب به أوتالورا وبركابه وسرجه الموشى بجلد نمر . كان الفرس رمزا لسلطان الرئيس وسطوته ولذلك أراد الاستيلاء عليه مثلما راودته الرغبة فى الاستيلاء على المرأة ذات الشعر الوضاء . فقد صارت المرأة والفرس والعناء سمات الرجل الذى يسعى لتدميره ...

هنا تنعقد القصة فقد كان ان يفيدو بنديرا خبيرا فى الترويع والترهيب وبارعا فى المحاورات التى بذ بها محدثيه حيث يمزج الحقيقة بالخيال . قرر أوتالورا أن يسلك هذه الطريقة فى نطاق العمل الشانك الذى يعتزم القيام به كما قرر أن يتخلص من ان يفيدو توريجيا .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

خلال أيام الخطر المشترك كسب صداقة سواريز فأسر له بخطته . فوعده سواريز بالوقوف معه . وتتوالى أحداث لا أعرف منها الا القليل حتى يوم أن أبى أوتالورا تنفيذ أوامر بنديرا وصار يغرقها او يعدل منها او يصطنعها . وبدأ أن العالم بأسره فى صفه ينسج معه خيوط المؤامرة ويعجل بوقوع الاحداث .

فى ظهيرة يوم قاتظ حدث تبادل طلق نارى فى احدى مزارع «تاكرويمبو» مع عصابة من اقليم «ريو غرادى» عندئذ استولى أوتالورا على مكان بنديرا وقاد الاورغوائيين واخترقت رصاصة كتفه لكنه عاد فى المساء على صهوة فرس الرئيس ، ذلك الفرس الذى تلتخ ببقع من الدم سالت على جلد النمر . وفى تلك الليلة نام مع ذات الشعر الناعم .

وفى روايات أخرى يختلف ترتيب الاحداث . وبعضها ينكر أن تكون الاحداث كلها قد وقعت فى يوم واحد . لكن الثابت أن بنديرا صار رئيسا

يصدر أوامر لا تلقى آذانا صاغية وإن كان أوتالورا قد ترفع عن مسه بسوء بدافع العادة والشفقة معا .

كان تصعيد الليلة الأخيرة وتأزمها شبيهين بآخر المشاهد الدرامية ؛ ففي تلك الليلة أكل الرجال لحما طازجا وشربوا الحمرة ، ثم عزف أحدهم على فيثارة نغمات مطولة من «الميلونغا» . وكان أوتالورا مخمورا يتصدر المائدة ويزداد تيبها بنفسه وفخرا بمكانته .

أما بنديرا فقد كان صامتا وسط الصراخ ، ترك السهرة تنساب في صخبها حتى منتصف الليل . عندئذ نهض كمن تذكر موعدا واتجه نحو باب المرأة يطرقة . فتحت له الباب بسرعة كأنها كانت في انتظاره وهي نصف عارية ، حافية القدمين قال بصوت آمر أجش :

« ما دمت على علاقة بهذا الرجل القادم من بيونس ايرس فاذهبى اليه الآن وقبله على مرأى من الجميع ... » .

وأضاف تفاصيل أخرى بالغة القسوة . حاولت المرأة أن تقاوم . ولكن رجلين سحبها من ذراعيها والقي بها على صدر أوتالورا فقبلته والدمع ينهمر من عينيها . عندئذ أخرج البيانو سوازير مسدسه فأدرك أوتالورا قبل أن يموت انهم وشوا به منذ البداية . وإن الحكم بالموت قد صدر ضده سلفا ولم يسمحوا له أن يمارس الحب وينتشى بالسلطة ويزهو بالنصر لانهم كانوا يعتبرونه في عداد الاموات ما دام بنديرا يعتبره ميتا . وفي احتقار وازدراء ضغط سوازير الزناد .

### أبو بكر العيادي

(\*) يعتبر الكاتب الارجنطيني خورخي لويس بورخس ( 1899 - 1986 ) عميد الادب في أميركا اللاتينية استطاع ان يجمع بين الجودة الادبية الفائقة وقمة المحافظة في أفكاره .

يعتبره النقاد واحدا من عمالقة الادب في هذا القرن لا يقل قيمة عن جويس وبروست وكافكا .

حصيلة كتبه تقارب الاربعين مجلدا من قصص وقصائد ومقالات ودراسات الا أنه يستهين بكل انتاجه ويعتبره كلاما عاديا ولا يستثنى منه سوى « كتاب الرمل » ( قصص ) و « حكاية الليل » ( شعر ) .



## رؤيا البعث فى الزمن الهارب

انطلق الصوت قويا ، عاليا ، ينبض بالحياة داخل أرجاء القرية الصغيرة  
وهى تلملم أنفاسا لاستقبال يوم جديد .

«أقمشة .. فساتين .. سراويل .. ملابس أطفال .. ملابس نساء .. أجود  
انسلع وأرخص الاثمان .. الجديد عندى والبيع بالتقسيط . !!»

أطلت فاطمة من ثقب الباب وصاحت داخل منزلها :

«العم محمود . هذا صوت العم محمود !!»

فتحت عيشة بابها واشربأب عنقها نحو القادم فى أول الزقاق ، يتهاذى  
متثاقلا بما ينوء به ظهره .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

– تعالى يا عمتى وانظرى ، انه العم محمود . عاد الى القرية من جديد .

أما عابجية فقد اجتازت الزقاق فى طريقها خارج القرية لكنها توقفت تتبين  
صاحب الأصوت من تحت لحافها الاسود . ثم عادت أدراجها مسرعة الخطى  
تطرق باب فاطمة .

تعالى صياح الاطفال يتدافعون من كل صوب ووصله الصرير المتهاذى .

«عاد العم محمود !. عاد العم محمود !. أقمشة .. سراويل .. كل شىء  
موجود عند العم محمود !!»

فى هذه القرية النائية المعتصمة برمال الجنوب الشمس مشرقة فى كل  
الفصول ؛ فالشتاء الشمالى والضباب يظللان الطريق الى الصحراء فالشمس  
تكتسح الحياة وتدفق ينبض الحياة ، تشع بالدفء داخل قلوب الاهالى وبين



جوانحهم وهم ينطلقون فى سعى دؤوب لتحصيل أرزاقهم يتبغون من فضل الله .. يعملون فى صمت وإيمان فالأشياء والموجودات واضحة الصورة ظاهرة المعالم والجميع يفكر بصوت عال لا يعرف الهمس أو الصراخ بل ينساب فى تدفق ووضوح يشد الناس الى بعضهم بعضا حيث يتشاركون فى كل شئ.. فى الحب .. والحزن .. والامل . وينتظرون الغد دون خوف أو وجل . وقد كان «العم محمود» جزءا من هذه القرية أمضى فيها جانبا من شبابه ، وشهد فيها كهولته ، عاش فيها الفرح والحزن .. وفيها أيضا تفتحت أكمام قلبه عن حب كبير زلزل كيانه وقلب مفاهيم الحياة بداخل رأسه .

سنوات رائعة قضاها بين أهل هذه القرية الطيبة يعيش بينهم كأي فرد منهم وهبوه بيتا وجاوروه فى اخوة اسلامية . ولولا قصة حبه العاصف لما فارقتها أبدا ، ولكن ها هو يعود اليها فجأة فى صباح يوم من ايام الربيع .

كانت فاطمة ما تزال ملتصقة بالباب تنظر فى الاتجاه الآخر حين ارتعش حنكها للطرقات من الخارج فأزاحت المصراع وهى تسأل : من الطارق ؟ ولجت علجية بجسمها المكتنز الى داخل السقيفة ، وألقت باللحاف عن وجهها ثم قالت:

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- نهارك سعيد يا فاطمة .

- نهارك أسعد .. تفضلى يا علجية اجلسى ... خير ان شاء الله .

- هل سمعت النداء ؟ لقد عاد العم محمود ، كنت ذاهبة لزيارة ابنتى فاعترضنى فى الطريق يحمل سلتة الكبيرة وينادى بصوته المعهود .

- أنا ايضا كنت اقشر البصل عندما سمعت الصوت ، فتركت ما فى يدي، وهرعت أستمع من ثقب الباب .

- انه هو بلحمه وشحمه . لم يتغير فيه شئ، كأنه غادر بالأمس .

- الزمان لا يفت فى عزيمة الرجال . ان العم محمود رجل صلب لا تقدر السنون أن تهد قواه .

- صدقت يا فاطمة . وكما لا يخفى عليك فهو طيب القلب سليم الروح . لكن الذى يحيرنى هو سر غيبته الطويلة دون المطالبة بدينه الذى تركه فى ذمة معظم سكان القرية .

نظرت فاطمة لا شعوريا الى الفستان الذى ترتديه . انها مدينة بشمه الى العم محمود . مضى ينادى مرتلا ومتطلعا بوجهه نحو القرية الرابضة بين النخيل والربيع قد نثر حواليها ورود الفرحة فاذا كل شئ فيها ضحك باسم كاشراقة الفجر ، الخصرة تطوقها من كل الجهات . والادوية الجارية تشق مبانيتها الطينية فى تحد وشموخ وكبرياء .. لم يتغير شئ فيها لقد مضت سنوات منذ أن رحل عنها .. أشياء كثيرة تغيرت فيه ، أخذ منه الزمن ، وأخذ هو من الزمن . لكن القرية ظلت هى بناسها الطيبين وأرضها المعطاء وسماؤها الصافية وشمسها الملوحة بشعاع الحياة .

ان ذكرى هذا المكان عالقة فى التصاقه أبدية بذهنه المشبع بخيالات الماضى ، عندما كان شابا يافعا نزح من السواحل الشمالية الى أرض الجنوب يتاجر فى الملابس القديمة والجديدة ، يتجول بسلمه بين القرى الريفية داخل الواحة الممتدة كبساط أخضر ، يأتيهم فى كل مرة بالجديد من الكساء . كم طوت رجلاه من مسافات ودروب دون أن يصيبه الوهن أو الملل ، فابتسامة رضى على شفتي فتاة اقتنت منه حاجتها أو كلمات شكر من قروى طيب وجد عنده طلبه تكفى لتبديد الهموم من سماء حياته ، وتدفع به للانطلاق من جديد غير عابئ بأحباطات التعب والارهاق ولا بارهاصات المستقبل ، بيد أنه لا يدرى لم اتخذ من هذه القرية بالذات محطته الاخيرة ومقره الدائم بعد أن فقد أهله فى موطنه الاصلى ، وغدا وحيدا يأوى اليها ناشدا بين ساكنيها الطيبين ، البسطاء . الراحة والامان ، بعد كل ترحال لقد وجد فيها جاذبية خاصة تغرى الوافدين اليها من الغرباء فتسحرهم رمالها الصفراء المنثورة كالتبر ونخلها الاخضر ابداء يعانق الفضاء شامخا متعاليا فى معانقة أبدية للسحر والجمال ...

لمحت عيشة علجية وهى تدخل عند فاطمة فتلقفت وليدها الباكي تحمله على ذراعيها وأسرعت تنضم الى جارتها .

— أنت هنا يا علجية ! هل رأيت العم محمود ؟ من كان يظن أنه سيعود بعد تلك الغيبة الطويلة .

— مرحبا يا عيشة .

قالت فاطمة وفكرها ما يزال مشغولا ، هل سيجيئها العم محمود ليطلبها  
بشمن الفستان . تبلى الاشياء وذاكرة هؤلاء الباعة المتجولين تظل أبدا قوية  
لا يصيبها التصدع على مر السنين .

قالت عيشة وعيناها الواسعتان مستقرتان على «علجية» تحتويها بنظراتها  
الفضولية :

- اعتقد انه جاء للمطالبة بدينه ؛ فلا يعقل أبدا أن يترك ماله متسيبا عند  
الناس وهو أحوج ما يكون اليه .

تنحنحت علجية كمن يعطى نفسه مبررا للصمت متجاهلة الرد ؛ فقد أدركت  
ما ترمى اليه جازتها التي تعرف ما هي مدينة به للعم محمود وكانت تلجأ دائما  
للمخاطلة كلما تذاكرت النسوة في مجالسهن قصة الدين المتعلق بدمتهن .

تابعت عيشة قائلة .

- ترى ما سيكون حاله مع «آمنة» انها لم تتزوج حتى الآن منذ ترميها ؟ من  
يدري ربما جاء ليحرب حظه معها من جديد بعد فشله مرتين ، فخالفها قد شاخ  
واقتربت خطواته من القبر .

واصلت الجارات الثلاث ثرثرتهن والنداء يصل اسماعهن واضح النبر  
محبيات :

«أقمشة الحرير والكتان المطرز بخيوط الذهب من أجلكن ايها الجميلات  
وحسان الوادي !!»

تجمعت النسوة في ساحة الزقاق حول «العم محمود» يرسم البشر على  
وجوههن المستديرة السمراء فرحات بمقدمه يمطرنه بشمتي الاسئلة عن حاله  
وعن سر غيبته ، ويقبلن على سلعته يتفحصن محتوياتها بكل فضول ولهفة ،  
وهو ينظر اليهن مبتسما متجاوبا مع اشراقة وجوههن النضرة مفسحا لهن  
المجال لاشباع فضولهن فهن هكذا دائما لوحات متطفلات لكنهن طبيبات القلب  
كريمات المعشر .



دارت عيناه بينهن يبحث عن «آمنه ما بالها لم تخرج للقاءه فباب دارها مغلق عساها أن تكون بخير» . تساءل العم محمود محدثا نفسه في زحمة الضجيج من حوله . ان حنينه اليها يكاد يحتوى العالم بأكمله . أغمض عينيه مستسلما لوعيه الباطن يفيض بومضات الماضى على جنبات قلبه المتعب ويستنفر جميع الاحساسات التى تضيئ على نفسه آمالا واحلاما ركلها الالم بحرافر الوجع والغبن . تلك هى الحياة وجد نفسه فيها كالطائر المهاجر يتابع الفصول فى رحلة العمر تتوارى كالاشياء يفنيها انبلى ، وهو ماض فى ترحاله يكتسح المسافات ويطويها ، فهناك دائما مسافة اخرى تنتظره فى المجهول . ولكن هذا الخافق الحرون بين تهويمات الصدر أبى على المسافات أن يستوقفها فى لحظة ميلاد بارقة بعد مخاض مرير .

ظهرت آمنة فى حياته عذراء نافرة النهدين قد لوحتها الشمس بحمرة صبايا هذه الواحة الخضراء ترفل فى ملاءتها السوداء تجلب الماء من الوادى لا تلتفت اليه وهو القابع أمام سلته ترجوها أعماقه أن تأتى .

ARCHIVE

لم هى من دون الاخريات لا تشتري من عنده أبدا؟...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وجاء الجواب من احدها : خالها ذلك الرجل الشديد ... انه الويل والعذاب ... ويشتد الاوار يصطلى به القلبان عند تشابك العيون فى لحظة حب كالبرق الخاطف يومض فيمطر الغيث . هو ابن الشمال تجذبه شمس الجنوب العارمة بالشهوة فيمضى الى خال آمنة وولى أمرها يناشده أن يسكن الظلمة المشتد بين العاشقين . ويشور الخال ثورة الرمال الجنوبية ترحف فى صخب وكبرياء : متى كان للشمس والثلج أن يجتمعا .

ثم تزف آمنة لابن بلدها والارض ، وهى الانتماء ، تلفظ النبت الغريب اذن ... فلعنة المسافات قدره يفنيها لتفنيه ، يجوبها امتارا وامتارا يتلوى به العمر ، يعمل عشقه بين كفيه ، وتحت جوانح القلب يسكنه مستبدا ضاربا فى كيانه حتى العمق ، وقد تذرو الاصباح رؤى الليالى عبيرا يتضوع أريجيه بين شحظات الخيال خافقا بنبض الامل ، يبرق لامعا وسط الظلمة وبين أبعاد المسافات الموهلة فى البعد تفتال السنين فى تعاقبها على ردهات الزمن . واذا بآمنة أرملة قد مات عنها الزوج ، هو القدر يمد للعاشقين فسحة الامل قد



تعشب وقد تمضي كسحابة صيف ، ولكن مع اشتداد الانين تزداد الجراح  
نزفا فيتلقي الطعنة ثانية من « الحال » الراض في زمجرة تغتصب الفرح  
فالفجر الآتي لن يشرق ستظل الغربة هي المأوى . ما أصعب أن يغدو المرء بلا  
وطن .. يهيم على الامكنة مجهد الخطوات ... يمتد الافق أمامه ضبابيا يغتال  
اليوم والامس .

انفتح الباب عن آمنة تنظر مذعورة للبائع والنساء المجتمعات حوله مولولة  
في صيحة فزعة تندب خالها ، وقد أدركته قبضة الموت . آه للانسان يلهث  
مرتجلا في غفلة عن لعبة القدر لا يدري والعتمة تكتسح الكون متى تنبثق الرؤيا  
ليتحقق البعث في الزمن الهارب ...

حليمة مصباح



ARCHIVE

### منشورات « قصص »

- صدرت مجموعة « جمجمة فارغة »
- تأليف : حمودة الشريف كريم ، سعر : 30،500 د
- تخفيض 30 % لمن يشتريها مباشرة من ادارة المجلة
- تتحمل المجلة نفقة البريد